من دقائقِ التعبيرِ النثريِ
في خطبةِ
السيدةِ عائشةَ - رضي الله عنها -
يومَ الجملِ (تحليلٌ ونَقْدٌ)

الدكتورة/

سحر مصطفى إبراهيم المُعَنَّا

أستاذ البلاغة والنقد المساعد بقسم البلاغة والنقد
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات القاهرة
جامعة الأزهر
والأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية بكلية العلوم والآداب
جامعة نجران

"من دقائق التعبير النثري في خطبة السيدة عائشة -رضي الله عنها- يوم الجمل[تحليل ونقد]"

سحر مصطفى إبراهيم المُعَنَّا.

قسم البلاغة والنقد المساعد بقسم البلاغة والنقد ، بكلية الدراسات الإسلامية، والعربية بنات القاهرة جامعة الأزهر

البريد الإلكتروني : DR.SAHAR52015@GMAIL.COM

الإيميل الجامعي :smalmoana@nu.edu.sa

ملخص البحث :

أسباب اختيار البحث :

١) تنوعت دراساتي البلاغية بين القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربي ، فأحببت أن أتوجه بدراستي البلاغية نحو النثر العربي لأستقي من عذب مائه ولا أعذب من خطب أم المؤمنين السيدة عائشة –رضي الله عنها–

٢) رغبتي القوية في معايشة نص من نصوص السيدة عائشة – رضي الله عنها –والاستمتاع بزهرة من روضها النضر.

٣) التعرف على بلاغة أم المؤمنين التي عُرِفت ببلاغتها العالية وفصاحتها الشديدة التي طالما سمعت عنها .

أهداف البحث:

١) إبراز بلاغة أم المؤمنين ، وإيضاحها في كل فقرة من فقرات الخطبة.

٢) إلقاء الضوء على جوهر كلام أم المؤمنين :السيدة عائشة –رضي الله عنها ، ونفيس لغتها، وإبداع بيانها.

٣) استخراج الأسرار البلاغية من الخطبة وبيان جمالها الفني ، وإبراز قدرة أم المؤمنين – رضي الله عنها – التعبيرية.

منهج البحث :

لقد نهجت في هذا البحث : المنهجُ التحليليِّ التأمليِّ.

تقسيم الدراسة :

المقدمةُ: اشتملتْ علَى أهميةِ البحثِ وأسبابِ اختيارِهِ، وأهدافِهِ، ومنهجِهِ وخطتِهِ.

التمهيدُ : اشتمل على التعريف بالخطابة في عصر صدر الإسلام ، وخصائصها وموضوعاتها المهمة وأغراضها ،ونبذة مختصرة عن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – ونشأتها .

المبحث الأول :

من دقائق تعبير أم المؤمنين – رضي الله عنها – في حديثها عن علاقتها برسول الله – صلى الله عليه وسلم – وميزاتها في الخطبة.

المبحث الثاني :

من دقائق تعبير أم المؤمنين – رضي الله عنها –في حديثها عن أبيها ومناقبه الجليلة في الخطبة.

المبحث الثالث :

من دقائق تعبير أم المؤمنين – رضي الله عنها –في حديثها عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه – وصفاته العظيمة في الخطبة.

المبحث الرابع :

من دقائق تعبير أم المؤمنين – رضي الله عنها –في ختام الخطبة ومطالبتها بدم عثمان – رضي الله عنه –.

المبحث الخامس :

السمات الأسلوبية والخصائص التعبيرية لأم المؤمنين رضي الله عنها –في الخطبة .

الخاتمةُ: وتشملُ النتائجَ المهمةَ.

الفهارسُ: تشملُ: فهرسُ المصادرِ والمراجعِ – فهرسُ الموضوعاتِ.

الكلمات المفتاحية:" دقائق – التعبير – النثري – خطبة "

وصلى الله وبارك على محمد، وآله وصحبه أجمعين .

"Some Secrets of prose expression in The Sermon of Mrs. Aisha - May God bless her - camel day (analysis and critic)"

sahar Mustafa Ibrahim almoana .
mail: DR.SAHAR52015@GMAIL.COM
University e-mail: smalmoana@nu.edu.sa

Abstract:

Reasons to choose a search:

1) My rhetorical studies varied between the Qur'an, hadith and Arabic poetry, so I wanted to direct my rhetorical studies towards prose So that I drink his fresh water and it is no better than the sermons of the mother of the believers, Mrs. Aisha.

2) My strong desire to study some of Mrs. Aisha's texts - God bless her - and enjoy a flower from her flowering garden.

3) Knowing the eloquence of the mother of believers, known for her high eloquence and strong eloquence, which I have read and heard a lot about..

Search goals:

1) Reveal the eloquence of the mother of believers, and clarify them in each of the paragraphs of the sermon.

2) Shed light on the essence of the words of the mother of believers: Mrs. Aisha, May God bless her, and the inflight of her language, and the creativity of her statement.

3) Extracting rhetorical secrets from the khutbah and showing its artistic beauty, and highlighting the ability of the mother of believers - God willing - expressionism.

Research methodology:

I have followed this research: a meditative analytical approach.

Division of the study:

Introduction: Included the importance of research, the reasons for the selection, its objectives, its approach and its plan.

The introduction included: oratory in the era of Islam's sadr, its characteristics, its important topics and its purposes, and a brief overview of the mother of believers Aisha, may God rest her soul, and her upbringing.

The first topic:

Some Secrets of expression to the mother of believers, may God rest his soul, in her talk about her relationship with the Messenger of God and his advantages in the sermon.

The second topic:

Some Secrets of expression to the mother of the believers, may God rest his soul, in her talk about her father and his great works in the sermon.

The third topic:

Some Secrets of the expression of the mother of believers - May God bless her - in her talk about Omar ibn al-Khattab His wonderful recipes in the sermon

Topic 4:

Some Secrets of expression to the mother of the believers, may Allaah bless her at the end of the sermon, and ask for the blood of Othman.

Topic 5:

The stylistic features and expressive characteristics of the mother of believers, God bless her, in the sermon:

Conclusion: The results contain important results.

Indexes: Include: Index of sources and references - index of topics.

Keywords: Secrets - Expression - Prose - Mrs. Aisha - Sermon -camel.

المقدمة

ربِّ لك الحمد على ما أنعمت عليّ من نعم لا تعد ولا تحصى، ولك الشكر على ما أحسنت إليَّ من آلاء لا توفى ولا تجزى، والصلاة والسلام على من أرسلته بالنور والهدى، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وعلى آله أولي العزم والنهى وأصحابه الذين اشتروا الآخرة بالأولى.

أما بعد:

فقد كانت بداياتي البحثية منصبة على الدراسات القرآنية وذلك ؛ للشرف العظيم الذي نالني منه بالعمل فيه، ولشغفي الشديد بمعرفة أسراره التعبيرية ومعرفة ما يحتويه من فنون بلاغية.

ثم اتجهتُ للحديث النبوي ونهلت منه ما نهلت، وكتبت فيه ما فتح لي به الله ﷻ.

ولما أشبعت رغبتي وشفيت غلتي من معايشة أرقى النصوص العربية (القرآن الكريم– الحديث النبوي) اتجهت إلى الشعرِ ، وهو دوان العرب ومستودع أفكارهم ومقتني أحلامهم، فقد عُرف عن العرب مهاراتهم الكلامية، وتمكنهم من اللغة، فأحببت أن أغوصَ في خضَمِه وتخيلتُ أني لا أترك البحث فيه والتحليل، وذلك لكثرة قضاياه وموضوعاته في مختلف العصور، فلا يُضجَر من دراسته ولا يُسأم، فهو مادة حية قابلة للتحليل والتعليق، ومن ثَمَّ ألوذ بوفرة المادة العلمية ومصادرها.

وعليه فقد توجهت نحوه بأدواتي البحثية وقدراتي التحليلية المتواضعة، وبفضل اللهﷻ.استمتعت بالعمل في بحثين في الشعر العربي أيما استمتاع.

وبعد ذلك وجدتُ نفسي تطوق إلى تأمل الأعمال النثرية والعمل بها، فالنثر العربي وتاريخه الحافل بمختلف جوانبه كان له نصيب غير قليل من الدراسات الأدبية، والتي لا تقل أهمية عن الشعر، إلا أنه لا يزال بكرًا ولم يأخذ حقه في الدراسات البلاغية، ويحتاج إلى التنقيب عن مكنوناته، وأسرار بلاغته.

ومن الفنون النثرية الجديرة بالدراسة والتحليل: فن الخطابة.

والخطابة: فنٌّ مخاطبة الجماهير للتأثير عليهم واستمالتهم، فهي فنٌّ يقوم بشكلٍ أساسيٍّ على التحدّث بشكل شفهيّ مع المستمعين لإقناعهم واستمالتهم لما يُقال، وقد كان لعائشة ﵂، خطب كثيرة عالية البلاغة شديدة الإقناع، ومن الغريب أن خطب أم المؤمنين عائشة ﵂، لم تحظَ بدراسة وافية شافية، تُظهر للأمة قيمتها التعبيرية على الرغم من فصاحتها وبلاغتها وقوة بيانها.

وفي خضم هذا الأمر، وقد أحاطتني أمواج الأفكار المتزاحمة المتلاطمة، وقع اختياري على موضوع تحت عنوان:

"من دقائق التعبيرِ النثريِ في خطبةِ السيدةِ عائشةَ ﵂، يومَ الجملِ (تحليلٌ ونَقْدٌ)"

وذلك لأنني وجدتُ في كل جملة من جمل هذه الخطبة، وكل كلمة، بل كل حرف رسالة تبلغ الغرض المقصود من وراء كلماتها النفيسة، وجملها القيِّمة.

وتتمثل أسباب اختياري لهذا الموضوع في الأسباب التالية:

١) تنوعت دراساتي البلاغية بين القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربي، فأحببتُ أن أدلو بدلوي بقدر توفيق الله- تعالى- لي في النثر

العربي، لأستقي من عذب مائه وأرتوي من فيضه، ولا أعذب من خطب أم المؤمنين السيدة عائشة ﵂

٢) رغبتي القوية في معايشة نص من نصوص السيدة عائشة ﵂، والاستمتاع بزهرة من روضها النضر، فالكتابةُ عنْ بلاغتها ﵂، فيهَا منَ الشرفِ الذِي لا يدانيهِ شرفٌ، إلَّا شرفُ العملِ معَ القرآنِ الكريمِ والحديث الشريفِ.

٣) التعرف على بلاغة أم المؤمنين ﵂، التي عُرِفت ببلاغتها العالية وفصاحتها الشديدة التي طالما قرأت وسمعتُ عنها.

وأما عن أهداف البحث فتتمثل في الآتي:

١) إبراز بلاغة أم المؤمنين ل، وإيضاحها في كل فقرة من فقرات الخطبة.

٢) إلقاء الضوء على جوهر كلام أم المؤمنين: السيدة عائشة ﵂، ، ونفيس لغتها، وإبداع بيانها، فهو بيان من صنعة فؤاد، وطبع لسان.

٣) استخراج الأسرار البلاغية من الخطبة وبيان جمالها الفني، وإبراز قدرة أم المؤمنين ﵂ التعبيرية.

وقد عايشتُ بيان أم المؤمنين ﵂ من خلال خطبتها الجليلة متأملةً الزوايَا الفنيةِ مستعينةً بالقواعدِ البلاغيةِ والنقديةِ؛ ولمْ أكنْ فِي الخطبة هذه معتمدةً علَى تلكَ القواعدِ وحدَها وإنمَا كنتُ أعايشُ الخطبة معايشةً تذوقيةً وروحيةً متأنيةً متعمقةً؛ وتلكَ المعايشةُ أثمرتْ ذلكَ الانفعالَ منَ التناولِ البلاغيِّ للخطبة تناولًا يبرزُ منَ القيمِ والأسرارِ الجماليةِ مَا فتحَ بهِ اللهُ ﷻ عليَّ.

وقد قسمتُ الخطبة إلى أربعة موضوعاتٍ، ألقيتُ الضوء فيها على أسرارها البلاغية ودقائقها التعبيرية.

على أنني قد نهجت في هذا البحث: المنهجَ التحليليَّ التأمليَّ،حيث قمتُ بالكشف عنْ دقائق الأسرار البلاغية، واستخراج فنونِ البلاغة من تلك الخطبة، فبمقتضاهُ أمعنتُ النظرَ فِي الخطبة واستطعتُ أنْ أتذوقَ الأساليبَ البلاغيةَ وأبينَ نوعَها وسرَّهَا البلاغِي.

الدراسات السابقة:

لم أقف في ما بحثتُ علَى دراسةٍ بلاغيةٍ فِي هذه الخطبة، اللهم إلا ما وجدتُه من مجرد ذكر لها في بعض الكتب الأدبية ككتاب: بلاغات النساء لابن طيفور [١] الذي لم يزد عن ذكر بعض الخطب والأشعار دون أدنى تعليق، وكتاب: الجانب الأدبي من حياة السيدة عائشة- دراسة أدبية لمصطفى صلاح محمد والذي اهتم فيه بجمع خطبها وأقوالها وحكمها ﵂، فهو يقول: (وهدفي في تلك الدِّراسة أن أجمعَ بعضًا من ذلك التُّراث اللُّغوي والبلاغي الكبير؛ من بين خطبةٍ عَصْماءَ، وقولٍ مأثور، وحكمةٍ سيَّارة، ولمحةٍ برَّاقة) [٢]

وكتاب: حياة أم المؤمنين عائشة ﵂، العامة والخاصة لدكتور مسلم اليوسف، وهو يتحدث في هذا الكتاب عن حياة السيدة عائشة ﵂ العامة والخاصة، ومكانتها العلمية دون أن يتعرض لأي جانب بلاغي أو شيء يتعلق بدراستي في هذا البحث.

---

[١] بلاغات النساء، لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر، تحقيق أحمد الألفي، ط مدرسة والدة عباس الأول- القاهرة، ١٣٢٦ هـ.

[٢] الجانب الأدبي من حياة السيدة عائشة- دراسة أدبية، لمصطفى صلاح محمد، ص ١ بدون طبعة.

وقد وجدتُ لها خطبة أخرى تعرضتْ لكثير من الدراسات وهي: خطبتها في الدفاع عن أبيها، ومن تلك الدراسات: دراسة للأستاذ الدكتور سعيد عبد المجيد النوتي تحت عنوان: " الإبداع البياني في سمت الكلام الأول (دفاع أم المؤمنين عائشة عن أبيها ﷺ) أنموذجًا.

خطة البحث

يشتملُ البحثُ علَى مقدمةٍ، وتمهيدٍ، وخمسةِ مباحثَ، وخاتمةٍ، وفهارسَ فنيةٍ.

المقدمةُ: اشتملتْ علَى أهميةِ البحثِ وأسبابِ اختيارِهِ، وأهدافِهِ، ومـــنهجِهِ وخطتِهِ.

التمهيدُ: اشتمل على التعريف بالخطابة في عصر صدر الإسلام، وخصائصها وموضوعاتها المهمة وأغراضها، ونبذة مختصرة عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ونشأتها.

المبحث الأول:

من دقائق تعبير أم المؤمنين رضي الله عنها في حديثها عن علاقتها برسول الله صلى الله عليه وسلم وميزاتها في الخطبة.

المبحث الثاني:

من دقائق تعبير أم المؤمنين رضي الله عنها في حديثها عن أبيها ومناقبه الجليلة في الخطبة.

المبحث الثالث:

من دقائق تعبير أم المؤمنين رضي الله عنها في حديثها عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصفاته العظيمة في الخطبة.

المبحث الرابع:

من دقائق تعبير أم المؤمنين رضي الله عنها في ختام الخطبة ومطالبتها بدم عثمان رضي الله عنه

المبحث الخامس:

السمات الأسلوبية والخصائص التعبيرية لأم المؤمنين رضي الله عنها في الخطبة.

الخاتمةُ: وتشملُ النتائجَ المهمةَ المستخلصةَ من البحث .

الفهارسُ: تشملُ: فهرسُ المصادرِ والمراجعِ – فهرسُ الموضوعاتِ.

وقدْ استقيتُ هذهِ الدراسةَ منْ كُتبِ البلاغة والأدب واللغة والتاريخ.

ومَا توفيقِي إلَّا باللهِ عليهِ توكلتُ وإليهِ أنيبُ

تمهيد

الخطابة في عصر صدر الإسلام:

كانت الخطابة في عصر صدر الإسلام من أهم فنون الكتابة، وسنتعرف على أهميتها بإذن الله في السطور القادمة.

تعريف الخطابة في اللغة والاصطلاح:

الخطابة في اللغة:

مادة (خطب) تدور حول معانٍ كثيرة يمكن الإشارة إلى بعضها فيما يلي:

قال ابن منظور: (خَطَبَ فلانٌ إِلَى فلانٍ فَخَطَّبَه وأَخْطَبَه أَي أَجابَه، والخِطابُ والمُخاطَبَة: مُراجَعَةُ الكَلامِ، وَقَدْ خاطَبَه بالكَلامِ مُخاطَبَةً وخِطابًا، وهُما يَتخاطَبانِ.

...والخُطْبَة مَصْدَرُ الخَطِيبِ، وخَطَب الخاطِبُ عَلَى المِنْبَر، واخْتَطَب يَخْطُبُ خَطابَةً، واسمُ الكلامِ: الخُطْبَة).[١]

وجاء في مختار الصحاح: (خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابًا، وخطب على المنبر (خُطبة) بضم الخاء و(خطابة)، وخطب المرأة في النكاح (خِطبة) بكسر الخاء (يخطُب) بضم الطاء فيهما، وخطب من باب ظُرف: صار خطيبًا). [٢]

---

[١] لسان العرب، لابن منظور، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ، مادة: خطب.

[٢] مختار الصحاح، تأليف: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: بولاق المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٥٧، مادة: خطب.

وفي المصباح المنير: (خاطبه مخاطبة وخطابًا وهو الكلام بين متكلم وسامع ومنه اشتقاق (الخطبة) بضم الخاء وكسرها، فيقال في الموعظة: خطب القوم (خُطبة) بضم الخاء فهو (خطيب)، والجمع (خُطَب)، وخطب المرأة إلى القوم إذا طلب أن يتزوج منهم، واختطبها، والاسم (الخِطبة) بالكسر فهو خاطب) [١]

وعلى هذا فيقال في (الخُطبة) بالضم (خاطب) و(خطيب) ومن (الخِطبة) بالكسر (خاطب) فقط[٢].

وفي ضوء ما سبق نستطيع أن نقول: إن مادة الكلمة المكونة من (الخاء والطاء والباء) تدور حول معنيين رئيسين:

أولًا: ملكة البيان وفصاحة اللسان.

ثانيًا: إظهار الرغبة في النكاح.

---

[١] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تأليف أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، مادة خطب.

[٢] المفردات في غريب القرآن، تأليف: الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ص ١٥٠، الناشر: دار المعرفة– بيروت– لبنان– بدون تاريخ.

الخطابة في الاصطلاح:

أما الخطابة في الاصطلاح فلها تعريفات كثيرة، وفيما يلي بعض هذه التعريفات بإيجاز.

يقول الشيخ/ أبو زهرة رحمه الله: (الخطابة صفة راسخة في نفس المتكلم يُقتدر بها على التصرف في فنون القول لمحاولة التأثير في نفوس السامعين، وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم وإقناعهم) [١]

وعرفها الشيخ/ على محفوظ بأنها: (ملكة الاقتدار على الإقناع واستمالة القلوب وحمل الغير على ما يراد منه)[٢].

ويعرفها الدكتور/ أحمد الحوفي بقوله: هي فن مشافهة الجمهور وأقناعه واستمالته[٣].

ويعرفها الدكتور: عبد الجليل شلبي فيقول: الخطابة هي (فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة) [٤].

فبالنظر والتأمل في كل ما سبق من تعريفات نلاحظ أنها قد ضمت إلى الإقناع استمالة الوجدان وإثارة العواطف، إلا أنها قَصَرتْ الخطابة على فن التطبيق مع أنها علم له قواعده وأصوله، صحيح أن التطبيق ينبني

---

[١] فن الخطابة، الشيخ محمد أبو زهرة، ص ١٩، الناشر: دار الفكر العربي، بدون تاريخ.

[٢] السابق نفسه.

[٣] فن الخطابة،الدكتور، أحمد الحوفي، ص ٥، الناشر: الهيئة المصرية للتأليف والنشر، بدون تاريخ

[٤] الخطابة وإعداد الخطيب، الدكتور: عبد الجليل شلبي، ج ١،ص١٥، الناشر: دار الشروق،الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

على قواعد وأسس، لكن قصر التعريف على الفن يجعله منطبقاً على الخطابة الفطرية[1].

و(التعريف الأنسب للخطابة هو أنها: علم يقتدر بتطبيق قواعده على مشافهة الجماهير لمحاولة التأثير في نفوسهم وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم وإقناعهم)[2].

أهمية الخطابة:

للخطابة أهمية كبرى فهي من الممكن أن تفض المشاكل، وتقطع الخصومات، ويمكن لها أن تهدئ النفوس الثائرة، وهي أحياناً تثير حماسة ذوي النفوس الفاترة، وأحياناً ترفع الحق، وتخفض الباطل، وتقيم العدل، وتردُّ المظالم، وفي كثير من الأوقات تكون صوت المظلومين، وقد شعر موسى عليه السلام بأهمية البيان والفصاحة فقال عندما بعثه ربُّه تعالت حكمتُه إلى فرعون: {قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨} [طه:٢٨:٢٥]

ويمكن القول بأنه: لا يمكن أن ينتصر صاحب دعوة، ومنادٍ بفكرة، وصاحب إصلاح إلا بالخطابة.

والخطابة قوة تثير حميّة الجيوش، وتدفعهم إلى لقاء الموت، ولذلك كان قواد الجيوش المظفرون في القديم والحديث خطباء مصاقع، فعليّ بن أبي طالب، وخالد بن الوليد، وطارق بن زياد، كانوا بحق خطباء مصاقع حملوا معهم سلاحًا معنويًّا لا يقل أهمية وخطورة عن السلاح والعتاد الماديّ.

---

[1] قواعد الخطابة وفقه الجمعة والعيدين، الدكتور أحمد غلوش، ص٩، بدون طبعة.

[2] السابق نفسه

ولا يمكن للخطيب أن يقوم بهذه المهمة الجليلة على الوجه المطلوب إلا إذا كان ملما بشتى العلوم والمعارف الإسلامية إلمامًا واعيًّا مستنيرًا، وإلا ففاقد الشيء لا يعطيه.

ومن أهم العلوم التي ينبغي أن يتزود بها الخطيب في المجال الإسلامي ما يلي:

القرآن الكريم- السنة المطهرة- الفقه الإسلامي- التاريخ الإسلامي- مقارنة الأديان- المذاهب والتيارات الفكرية المعاصرة.

الخطابة في عصر صدر الإسلام:

في صدر الاسلام بلغت الخطابة شأوًا بعيدًا، وثرت ثراءً لا حد له بفضل التأثر بالقرآن والسنة واستمدادها منهما.

فالخطابة كانت هي الوسيلة الأولى لتبليغ الناس دعوة الله ﷻ.خصوصًا في عصر النبوة الذى كانت وسائل الاتصال فيه محدودة للغاية.. وأن الرسول ﷺ كان يلقى الناس في الأسواق، والجُمَع وفي موسم الحج، وفي المناسبات المختلفة يدعوهم إلى الإسلام، ويشرح لهم حقائقه، ويبين لهم أصوله وأركانه بأسلوب شيق جذاب يأخذ بالألباب ويستولي على القلوب.

وهكذا فعل النبي ﷺ يوم أن أُمِر بالجهر بالدعوة ونرى قوله تعالى:{وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤} [الشعراء: ٢١٤]

حيث صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل يُنادي يا بني فهر، يا بني عدي، لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولًا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش فقال ﷺ: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيولًا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم

مصدقي ؟ قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقًا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد [1].

وهكذا انتزع النبي ﷺ منهم الأدلة على صدقه قبل أن يعرض عليهم دعوته، فإن صَدَّقوه فبها ونعمة، وإن كذبوا وأعرضوا ظهر تناقضهم مع أنفسهم، إذ كيف يعترفون بصدقه ثم يكذبونه في دعواه ؟ وهذه طريقة فريدة في الدعوة جديرة بالتأمل والاعتبار.

وعلى أي حال فإن الخطابة كانت هي أول سلاح استعمله الإسلام لإعلان مبادئه والدعوة إليها، وكان الذين يدخلون الإسلام يدخلونه عن اقتناع ورغبة ومحبة وعاطفة.

وكذلك كان الحال في عصر الخلفاء الراشدين حيث واصلت الخطابة نموها وازدهارها إلى أبعد مدى، وظل الأمر كذلك في السنوات الأولى من خلافة عثمان رضي الله عنه، وبدءًا من السنة السابعة من حكمه بدأ الناس ينتقدونه جهارًا ثم كانت الفتنة الكبرى بمقتله، ثم انقسام المسلمين بعد بيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وخروج بني أمية عليه بقيادة معاوية وبعد موقعة صفين وحادث التحكيم انقسم المسلمون إلى شيعة يناصرون عليًّا وأبرزهم أهل العراق، وإلى أمويين يناصرون معاوية وأبرزهم أهل الشام، ثم إلى خوارج، وأكثرهم بدو وعرب خُلَّص، وهؤلاء اشتهروا بقوة إيمانهم وشجاعتهم النادرة وتميزت خطبهم بميزات القوة والبلاغة [2].

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، باب {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ } ج٣ ص ١٧٣ رقم ٤٧٧٠ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

[2] الخطابة وإعداد الخطيب، ج٢، ص ٢٠- ٢١.

مميزات الخطابة في صدر الإسلام:

هذا وقد امتازت الخطابة في صدر الإسلام عنها في الجاهلية بميزات عدة، وأسباب ذلك ترجع إلى ما يلي:

١- اتباعها خطة سياسية في مثل تكوين الأحزاب وتأليف الجماعات وتوحيد الكلمة والتحريض على الجهاد لإعلاء كلمة الله ﷻ.

٢- صفاء ألفاظها، وسهولة عباراتها، ومتانة أساليبها، وتجنبها سجع الكهان، وقلة القصد فيها إلى سرد الحكم القصيرة الدقيقة المناسبة وغير المناسبة.

٣- قوة تأثيرها ووصولها إلى سويداء القلوب وامتلاكها الوجدان والشعور، بما يرقق الشعور القاسية ويُليِّن العواطف الجامدة.

٤- محاكتها أسلوب القرآن الكريم في الإقناع واستمدادها من آياته.

٥- بدؤها بالحمد والثناء عليه تعالى والصلاة والسلام على النبي وصحبه[١]

٦- ختامها بذكر عبارة إسلامية مما جاء به الدين الحنيف كأن يقول الخطيب: (أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، أو قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله، أو يذكر دعاءً من أدعية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومأثوراته، أو يذكر آية قرآنية فهذه كلها من مظاهر الختام الإسلامي، هذا خلاف ما كان معروفاً عند خطباء الجاهلية، إذ كان الخطيب يكرر الجملة الأخيرة أو جملة معينة خاصة به فيعرف السامعون أن الخطبة قد انتهت[٢]

---

[١] دراسات في الخطابة، للدكتور،عبد الغفار عزيز وآخرين، ص٥٤ بدون.

[٢] الخطابة وإعداد الخطيب، ص٣٤.

عوامل ارتقاء الخطابة في صدر الإسلام:

لقد ارتقت الخطابة في صدر الإسلام ارتقاءً كبيرًا وثرت ثراء لا حد له، وذلك لأسباب كثيرة أهمها ما يلي:

أ- القرآن الكريم: فالقرآن- بلا شك – أحدث ثورة هائلة في داخل النفس العربية القديمة فحركها من داخلها، وهزَّها من أعماقها، وأثّر فيها تأثيرًا بليغًا بما اشتمل عليه من روعة التراكيب اللفظية وجمال الأساليب البلاغية التي تُلفتُ العقل، وتثير الوجدان، وتؤثر في العاطفة.

ولقد دفعهم هذا إلى الالتفاف حول مائدة القرآن الكريم، ينهلون من فيضه ويغترفون من بلاغته وأسراره، كما دفع خطباءهم بصفة خاصة إلى الاستشهاد بآياته العظيمة، والاقتباس من ألفاظه ومعانيه الجميلة، لا في خطبهم الدينية فحسب، وإنما في سائر خطبهم على اختلاف أغراضها وتنوع مقاصدها، ولذلك كانوا يعدون الخطبة الخالية من آيات القرآن الكريم ناقصة وقليلة الفائدة، لأن الاستشهاد بالقرآن كما يقول الجاحظ: (يكسب الكلام البهاء والوقار والرقة وسلس الموقع)[1].

ومهما يكن من أمر، فإن الخطابة قد أفادت من القرآن الكريم أعظم فائدة وجنت منه أطيب الثمرات وذلك من ناحيتين: ناحية اللغة، وناحية المنهج والطريقة.

أما من ناحية اللغة فقد استفادت من القرآن الكريم في جانبين في غاية الأهمية:

---

[1] البيان والتبيين، أبو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج١، ص١١٨، الناشر: مكتبة الخانجي- القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٨٥م.

الأول: سعة المعاني: فقد أتى القرآن بمعان راقية لم يكن العرب على دراية بها، ذلك أنهم كانوا لا يعرفون إلا المادة ولا يعيشون إلا في نطاقها.

الثاني: سهولة الألفاظ: لقد جاء القرآن الكريم في لفظ سهل متين، خالٍ من الألفاظ الخشنة الجافة، يصل إلى الأغراض من أقرب مسالكها، فأُعْجِب بذلك قارئوه وسامعوه، فحاكوه في نهجه، وإن لم يساموه في قدره، وتهذبت به اللغة أتمِّ تهذيب،.. وأثَر ذلك في الخطابة واضح غير خفي[١].

وأما من ناحية المنهج والطريقة: فقد تأثر الخطباء بمنهج القرآن الكريم في الاستدلال، حيث وجدوا فيه أبلغ طرق الإقناع الخطابي، وكيف لا؟ وقد اجتمع في أدلة القرآن الكريم ما لا يمكن أن يجتمع في أدلة سواها، و بهذا وجد الخطباء في القرآن الكريم المثل الأعلى فنهجوا في الإقناع نهجه وسلكوا في إقامة الحجة طريقته، ووصلوا بالخطابة إلى أسمى الدرجات.

ب-الحديث النبوي الشريف: وهو كلام النبي صلى الله عليه وسلم الذي يلي القرآن الكريم منزلة ومكانة، وقد اجتمعت فيه فصاحة اللفظ وجودة المعنى وحسن الأداء، بلغ من البلاغة الذروة، ووصل من الروعة إلى القمة، و للحديث الشريف في الخطابة أثران مهمان:

أحدهما: أضاف الحديث النبوي ثروة من المعاني والألفاظ والأساليب التي كانت تُعَدُّ من النبي صلى الله عليه وسلم ابتداعًا وابتكارًا مثل قوله: (حمى الوطيس)، وقوله: (مات حتف أنفه).

---

[١] الخطابة للشيخ أبو زهرة، ص٢٦٠.

كما هذب الحديث الشريف اللغة تهذيبًا قريبًا من تهذيب القرآن الكريم، إذ سهل الألفاظ، ورقق أساليبها، وذهب بالوحشي منها، فكان لكل هذا أثره في الخطابة لأنها شعبة الأدب الأولى في ذلك العصر.

ثانيهما: أن كثيرًا من الخطباء كان يرطب لسانه بشيء مما أُثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم تيمناً بقوله، واستراحًا للسامعين، وليُكسِبوا كلامهم روعة، كما كان أكثر خطب هذا العصر تدور حول مبادئ الدين، ولأجل هذا اعتنوا برواية الحديث والاستشهاد به في خطبهم[١].

ج- الحضارة: ومن أهم عوامل رُقيِّ الخطابة في صدر الإسلام أيضًا: التقدم الحضاري، إذ أخذت الحضارة تغزو نفوس أولئك البدو فاجتمعت فيهم قوة البدوي ونخوته، وبعض دماثة الحضري ورقته، فأكسبتهم تلك الحضارة سهولة في التعبير، لم تكن فيهم، إذ هذبت من طباعهم، وقللت من جفوتهم..... كما أن اختلاطهم بالأمم الأخرى أدى إلى معرفتهم كثيرًا من أحوالهم، وقد انعكس ذلك على خطبهم فبدت غزيرة المعاني، متنوعة الموضوعات، وافية الغرض.

د- تكوين الحكومة الإسلامية: كذلك كان من أهم عوامل رقي الخطابة وجود حكومة إسلامية نظامية، إذ كانت الخطابة أداة اتصال بين الحاكم والمحكومين، بها اتصل الخلفاء بالشعب في خطبهم العامة، وكذلك الولاة في الأقاليم التي يحكمونها، يُبَيِّن بها هؤلاء وأولئك ما يجب أن يكون عليه المحكمون من طاعتهم في الحق، وإرشاد للحاكم من غير تمرد أو عصيان[٢].

---

[١] السابق، ص ٢٦٤.

[٢] الخطابة، ص٢٦٤.

هـ- الوعظ الديني: كان الوعظ الديني له الشأن الأول لأن الدين كان أساس وحدتهم، وجامع كلمتهم، ومكون دولتهم، ولذلك كان له الاعتبار الأول، وقد حث الإسلام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعله قوام هذه الأمة ومناط عزها، وطريق ارتقائها، وقد كانت الخطبة فرضًا في الجمعة لذلك الغرض، فكان للخطابة من ذلك المبدأ الديني السامي (مبدأ التواصي بالحق والتناهي عن الشر) رقيٌّ أي رقيٍّ.

و- الالتزام بمبدأ الشورى الذي أقره الإسلام: ومما ساعد على رقي الخطابة وازدهارها مبدأ الشورى الذي أقره الإسلام ودعا إليه وبين أنه من صفات المؤمنين { وَ أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ}(الشورى: ٣٨)، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم به { وَ شَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكّلْ عَلَى اللهِ} (آل عمران: (١٥٩)، ولا شك أن مبدأ الشورى هذا قد شجع على انطلاق الألسنة للتعبير عن الآراء المختلفة ووجهات النظر المتعددة حول ما يطرح من قضايا وموضوعات، وكثيرًا ما يكون هذا التعبير بلهجة خطابية تخاطب العقل والوجدان، مثل استشارة النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه في غزوة بدر للوقوف على مدى استعدادهم لملاقاة العدو وقتاله، مما شجع على ازدهار الخطابة ورقيها.

موضوعات الخطابة وأغراضها في صدر الإسلام:

أما عن موضوعات الخطابة في صدر الإسلام فهي متعددة للغاية لأنها تشمل كل تعاليم الإسلام ومبادئه سواء ما كان متعلقًا منها بأمور الآخرة، ولا يمنع هذا أن هناك موضوعات كثيرة كانت تحظى باهتمام كبير من قبل الخطباء والوعاظ في هذا العصر.. ومنها ما يلي:

أ- الدعوة إلى الإسلام: كانت الدعوة إلى الإسلام في مقدمة الموضوعات التي اهتمت بها الخطابة في صدر الإسلام، وعلى رأسها، ولذلك وجدنا

أغلب الخطب النبوية تدور حول دعوة الناس إلى الدخول في دين الله وترك عبادة الأصنام باعتبار أنه صاحب دين جديد.

ب- بيان الأحكام الشرعية: وهذا ما يبدو واضحًا في خطبة الوداع التي تناولت بيان الأحكام الشرعية في موضوعات كثيرة كالربا والزنا وحرمة الدماء بين المسلمين، وحقوق كلٍ من الرجل والمرأة على الآخر، والمساواة بين الناس وأنه لا فضل لأحد على الآخر إلا بالتقوى والعمل الصالح.

ج- الدعوة إلى الجهاد: من المعلوم أنَّ الجهاد في سبيل الله عز وجل ركنٌ من أركان هذا الدين، وأنَّ المسلمين مطالبون بالدفاع عن أنفسهم وعن عقيدتهم ومقدساتهم، ولهذا كان النبيﷺ يخطب في أصحابه وأتباعه يحضهم على الجهاد ويدفعهم إلى ملاقاة أعدائهم بكل ما أوتوا من قوة، وقد استعان ﷺ في هذا المجال بعدد من أصحابه ممن برعوا في هذا اللون من الخطابة.

وقد استمر الأمر على ذلك في عصر الخلفاء الراشدين الذين كان في عهدهم وعاظ مبرزون، وخطباء معروفون، يقومون بدور كبير في تقوية الروح المعنوية في الجيوش المحاربة.

د- التعليم والوعظ: لقد وصل إلينا الكثير والكثير من خطب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموضوع، ووجدنا الكثير من خطبه تدعو إلى الوحدة والتآلف، والتعاون والتناصر بين المسلمين ليكونوا على قلب رجلٍ واحد في كل الظروف والأحوال، مما يدل على أن هذا الجانب الدعوي كان من بين موضوعات الخطابة التي استخدمها النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه، وفي هذا بلا شك إشارة واضحة منه ﷺ لأتباعه من بعده أن

يهتموا اهتمامًا بالغًا بهذه القضايا وأن تتضمنها خطبهم ومواعظهم الدينية[١].

ه- القضايا الاجتماعية: من الحقائق المقررة: أن الإسلام دين الحياة، بل هو الحياة كلها بجميع تفاصيلها، وإذا كنا نقول بأن الإسلام نظام إلهي شامل لكل نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فمما لا شك فيه أن الخطابة يجب أن تتضمن كل هذه الأمور، ومن هذا المنطلق كان من الطبيعي جدًا أن تشتمل الكثير من خطب النبي صلى الله عليه وسلم على قضايا الزواج والطلاق وغير ذلك مما يتعلق بحياة الناس وهمومهم الاجتماعية [٢].

و-التذكير بالآخرة: كذلك لم تخل خطب النبي صلى الله عليه وسلم من التذكير باليوم الآخر وما فيه، باعتبار أن الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان العقيدة الإسلامية الصحيحة، وأن التصور الحقيقي للصلة بين الدنيا والآخرة: أن الدنيا معبرة للآخرة، وأنها- أي الدنيا- دار ابتلاء واختبار، وهكذا سارت الخطابة- في عصر النبوة والخلافة الرشيدة- في ركب الإسلام، تُبَلغ دعوته، وتنشر مبادئه، وتعلن على الناس أهدافه ومقاصده ،فَعَلَتْ وارتقت لفظًا، ومعنىً، وأسلوبًا، وأداءً، وعز أهلها وأربابها، وحظوا بكل إجلال وتقدير.

---

[١] أصول الخطابة العربية،للدكتور عبد الغفار عزيز، ص ٨٤، بدون.

[٢] أصول الخطابة العربية، ص ٨٤-٨٥.

بين يدي السيدة عائشة – رضي الله عنها -:

هي عائشة بنت أبي بكر الصدّيق رضي الله عنهما، وكان أبو بكر بمثابة الأخ لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صاحبه في الغار، والذي قال عنه: « إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ وَمَوَدَّتُهُ، لاَ يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ.» [1]وأُمُّها: أمُّ رومان بنت عامر الكناني، من الصحابيَّات الجليلات، التي قال عنها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوم وفاتها: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى امْرَأَةٍ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى أُمِّ رُومَانَ [2].

وُلدت عائشة رضي الله عنها سنة: ٧ ق. هـ– ٦١٥في بيت يَدِينُ بالإسلام، فلم تُدْرِك أوثان الجاهليَّة، ولم تعرف غيرَ الإسلام، وتقول في ذلك: (لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ إِلاَّ وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ) [3].

وقد رآها النبي صلى الله عليه وسلم في المنام كما ثبت في الصحيح أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لها: « أُرِيتُكِ فِي الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ، أَرَى أَنَّكِ

---

[1] البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبيﷺ سُدُّوا الأَبْوَابَ إِلاَّ بَابَ أَبِي بَكْرٍ ٣٤٥٤ ومسلم :كتاب فضائل الصحابة ٤٤ باب فضائل الصدّيق 2382

[2] المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، ٦٠٠٠، تحقيق مصطفى عطا، ط ٤ العلمية بيروت،والمتقي في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين ٣٤٤١٨، وأورده ابن سعد في الطبقات عن القاسم بن محمد مرسلاً.

[3] صحيح البخاري :أبواب المساجد ١١ باب المسجد يكون في الطريق من غير ضرر بالناس ٤٦٤، وأحمد٢٥٦٦٧، وابن حبان ٦٢٧٧ وابن خزيمة ٢٦٥.

فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، وَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَاكْشِفْ عَنْهَا، فَإِذَا هِيَ أَنْتِ، فَأَقُولُ: إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِهِ » (١).

ولم يتزوَّج الرسول صلى الله عليه وسلم من النساء بكرًا غيرها، وهو شرفٌ استأثرت به على سائر نسائه صلى الله عليه وسلم، وظلَّت تفاخِر به طيلة حياتها.

وكانت ﵂ تُخاطَب بـــ أم المؤمنين ﵂ ، وتكنى بـــ أمِّ عبد الله، وقد ورد أنها قَالَتْ في ذلك: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُلُّ صَوَاحِبِي لَهُنَّ كُنًى، قَالَ: فَاكْتَنِي بِابْنِكِ عَبْدِ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ أُخْتُهَا، قَالَ مُسَدَّدٌ: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ﵁ قَالَ: فَكَانَتْ تُكَنَّى بِأُمِّ عَبْدِ اللَّهِ (٢) ذلك أنها لم تحمل قط ولم يكن لها ذرية، وكثيرًا ما ناداها النبي صلى الله عليه وسلم بـــ بنت الصدّيق (٣).

وتعد أم المؤمنين ﵂ أكبر نساء العالم فقهًا وعلمًا، فقد أحيطت بعلم كل ما يتصل بالدين من قرآن وتفسير وحديث وفقه... الخ، وكانت مرجعًا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما يستعصي عليهم أمر ما، فيجدون لديها حلًا لما أشكل عليهم، يقول أبو موسى الأشعري ﵁: ما أشكل

---

(١) السابق: كتاب فضائل الصحابة، باب تزويج النبي ﷺ أُمّنا ﵂ وقدومها المدينة وبنائه بها ٣٦٨٢، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة44 ، باب في فضل أُمّنا ﵂ ٢٤٣٨.

(٢) مسند أحمد ٢٥٥٧٠، الناشر:دار الفكر العربي بدون، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح وهذا إسناد اختُلف فيه...، وأبو داود ٤٩٧٠ والبيهقي ١٩١١٨ وقال الألباني: صحيح، انظر: السلسلة الصحيحة ١٣٢

(٣) سنن ابن ماجه: كتاب الزهد، باب التوقي على العمل ٤١٩٨ الناشر: دار الفكر، وسنن الترمذي ٣١٧٥، تحقيق د كمال الحوت، الناشر: دار الفكر، ١٩٨٠مـــ، ومسند الإمام أحمد، الناشر: دار الفكر العربي ٢٥٣٠٢

على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث قط، فسألنا عائشة ﵂ إلا وجدنا عندها منه علمًا، ولم لا ! وقد كان مقامها بين المسلمين مقام الأستاذ من تلاميذه، إذ سمعت روايات ليست على وجهها الصحيح من الصحابة، ومن علماء المسلمين فقامت بالتصحيح لهم وبيّنت ما خفي عليهم، فاشتُهر ذلك عنها، وأصبح كل من يشك في رواية، أتاها سائلًا.

وكانت المرجع الأكبر للفتوى في خلافة أبي بكر الصدّيق وعمر وعثمان ﵃ ؛ حتى ذكر القاسم بن محمد بن أبي بك – وهو أحد الفقهاء السبعة في المدينة المنورة – أنها استقلت بالفتوى في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ﵃ ؛ إلى أن تُوفيت، وكانت تُفتي بما عرفت من النبي صلى الله عليه وسلم وإن لم تجد اجتهدت في استنباط الأحكام للوقائع الجديدة التي لم تجد لها حكمًا صريحًا في الكتاب والسنة.

لقد أعطت أم المؤمنين ﵂ أسمى وأشرف ما يكون العطاء، وقدمت للتاريخ نموذجًا رائعًا قلَّ أن نجد له مثيلًا، فقد أعطت للناس العلم وخلَّفت تراثًا في أحكام الفقه وأصوله وهي مثال للحياة الزوجية الناجحة الودودة، وبلغت درجة عالية في مكارم الأخلاق، وكانت نبراسًا وقدوة للداعيات إلى الله تعالى على بصيرة، وبعد حياة حافلة بالإخلاص والحُبِّ لله ولرسوله، وبعد حياة مليئة بنشر العلم، تُوُفِّيَتْ ﵂ في ١٧ من رمضان سنة (٥٧هـ أو ٥٨هـ/ ٦٧٧ أو ٦٧٨م)، ودُفِنَتْ بالبقيع في ولاية مروان بن الحكم [١].

---

[١] الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود، ج ٤،ص ٢٧، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٩٥م.

ميزات لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

للسيدة عائشة ميزات كثيرة اختصت وتميزت بها على نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم

١) تلمذتها وتخرجها من مدرسة النبوة: فقد تولاها في طفولتها شيخ المسلمين أبوها الصدّيق رضي الله عنه ورعاها في شبابها نبي البشرية ومعلمها صلى الله عليه وسلم،. قال الحافظ الذهبي: (لا أعلم في أمة محمد صلى الله عليه وسلم بل ولا في النساء مطلقًا امرأةً أعلم منها) [١].

٢) انتسابها إلى قبيلة عربية مجيدة: هي قبيلة تيم، من أفخاذ قريش، ومعلوم أن هذه القبيلة قد احتلت موقعًا متميزًا بين سائر القبائل.

٣) نشأتها نشأة عربية صميمة: إذ دفع بها أبوها- كعادة أشراف العرب- إلى من يقوم بتربيتها من عرب البادية، فتولى تربيتها جماعة من بني مخزوم، فأكسبتها حياة البادية النضارة والفصاحة والبلاغة.

٤) حسها الأصيل بالأسلوب العربي وبلاغته، وأسرار نظمه وجماله، وتوفر عناصر بيئية أثرت تأثيرًا كبيرًا في تكوينها اللغوي والبلاغي.

٥) معرفة أبيها بالأنساب وما فيها من خير وغيره أثّر تأثيرًا كبيرًا في لباقتها وقوة حجتها ونصاعة بيانها.

---

[١] سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ج ٢، ص ١٣٥ – ٢٠١، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ٢٠٠٩مـ.

٦) ذكاؤها الفطري، وتوظيف النبي صلى الله عليه وسلم لملكاتها وقوة ذاكرتها لكثرة ما روت عن النبي صلى الله عليه وسلم.

٧) تبوؤها مكانة علمية واجتماعية وسياسية أضفت على أسلوبها فخامة، وعلى لغتها متانة، وعلى عباراتها جزالة، وعلى كلامها بلاغة، وعلى ألفاظها عذوبة، وقد أبرز ذلك كله في ثوب قشيب قوة حجتها مما ساعدها على استمالة الأسماع والقلوب والسيطرة على المواقف الصعبة.

٨) صحة تمييزها ورهافة إحساسها، ودقة فهمها لما يجب أن يكون عليه الكلام، حتى يجد صداه في القلوب والعقول.

أراء بعض العلماء في لغة السيدة عائشة:

أولًا: **العقاد**.

يرى العقاد أن أم المؤمنين عائشة ﵂ تجمع إلى غزارة الاطلاع مادة لغوية لا تتهيأ لكثير من أبناء العربية، وأنها كانت تتميز بأسلوبها الذي كان يأتي دائمًا متناسبًا مع الغرض الذي يساق له الكلام.

يقول العقاد: (وغزارة الاطلاع بينة- إلى جانب هذا- من لغة السيدة عائشة ﵂ ، التي امتزجت بأسلوبها في كل ما نقل عنها ولا سيما الخطب والوصف خاصة، فقد كانت لها مادة من اللغة لا تتهيأ بغير محصول كبير من أبناء العربية التي تستقي من أعرق مصادرها...

وقد كان لها أسلوبٌ فيما يرتجل يناسب موضوعه... ومع هذه المادة اللغوية التي تنم عن استقصاء مادة العربية من أعرق مصادرها لا نستغرب ما تواترت به الروايات من علم السيدة عائشة ﵂) [١]

ثانياً: رأي الشيخ محمد محمد أبي موسى

يرى الشيخ: أن كلام السيدة عائشة ﵂ أكثر شبهًا بكلام الرسول صلى الله عليه وسلم من الصحابة.

يقول الشيخ محمد محمد أبو موسى:

- (وكنت أتفرس كلام الأصحاب، ويطول وقوفي عنده، وتفرُّسي له، وكنت أجد كلام أُمِّنا رضوان الله عليها أقرب كلام من قرأت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم شبهًا)[٢].

---

[١] الصدّيقة بنت الصدّيق، عباس العقاد، ص ٤٠- ٤٣الناشر: دار المعارف، الطبعة الثانية عشر، بدون.

[٢] شرح أحاديث من صحيح البخاري، للدكتور محمد محمد أبي موسى،ص ٢٣، الناشر مكتبة وهبة، ١٤٢١ه ــ - ٢٠٠١مــ.

نص الخطبة وسبب إلقائها:

سبب إلقاء الخطبة:

" لمَّا وقع قتل عثمان بعد أيام التشريق سنة خمس وثلاثين للهجرة، كان أزواج النبي ﷺ ،أمهات المؤمنين قد خرجن إلى الحج في هذا العام فرارًا من الفتنة، فلما بلغ الناس أن عثمان قد قُتِل أقمن بمكة، وقد تجمع بمكة خلق كثير وجم غفير من سادات الصحابة، منهم طلحة والزبير حيث استأذنا عليًّا رضي الله عنه في الاعتمار فأذن لهما، فخرجا إلى مكة وتبعهما كثير من الناس، وكذا قدم إلى مكة ابن عمر ومن اليمن يعلى بن أمية عامل عثمان عليها، وعبد الله بن عامر عامله على البصرة، ولم يزل الناس حينذاك يفدون على مكة، ولما كثروا فيها قامت فيهم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فحثتهم على القيام بطلب دم عثمان، وذكرت ما أفتت به أولئك من قتله في بلد حرام وشهر حرام ولم يراقبوا جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سفكوا الدماء وأخذوا الأموال، فاستجاب الناس لها وطاوعوها على ما تراه من الأمر بالمصلحة، وقالوا: لها: حيثما سرت سرنا معك، وبعد أن تعددت آراؤهم في تحديد الجهة التي يسيرون إليها، أجمعوا على الذهاب إلى البصرة"(١).

وكان مقصد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وطلحة والزبير من خروجهم من مكة إلى البصرة من أرض العراق: التماس الإصلاح بين المسلمين بأمر يرتضيه طرفا النزاع، ويحسم به الاختلاف وتجتمع به كلمة المسلمين ولم يخرجوا مقاتلين ولا داعين لأحد منهم، ليولوه الخلافة وهذا ما قرره

(١) البداية والنهاية، لبن كثير، ج٧، ص٢٤٤، الناشر: دار الفكر، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

العلماء من أهل السنة، قال أبو محمد بن حزم رحمه الله تعالى: "وأما أم المؤمنين والزبير وطلحة ﷺومن معهم فما أبطلوا قط إمامة علي ولا طعنوا فيها ولا ذكروا فيه جرحة تحطه عن الإمامة ولا أحدثوا إمامة أخرى ولا حددوا بيعة لغيره...

إنهم لم يمضوا إلى البصرة لحرب عليٍّ ولا خلافًا عليه ولا نقضًا لبيعته، ولو أرادوا ذلك لأحدثوا بيعة غير بيعته هذا مما لا يشك فيه أحد ولا ينكره أحد، فصح أنهم إنما نهضوا إلى البصرة لسد الفتق الحادث في الإسلام من قتل أمير المؤمنين عثمان ﷺ ظلمًا، وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإراغة والتدبير عليهم، فبيتوا عسكر طلحة والزبير، وبذلوا السيف فيهم فدفع القوم عن أنفسهم في دعوى حتى خالطوا عسكر عليٍّ فدفع أهله عن أنفسهم وكل طائفة تظن ولا شك أن الأخرى بُدِء بها بالقتال واختلط الأمر اختلاطًا لم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه والفسقة من قتلة عثمان لا يفترون من شن الحرب وإضرامها، فكلتا الطائفتين مصيبة في غرضها ومقصدها مدافعة عن نفسها".(١)

فخروج السيدة عائشة ﷺ في موقعة الجمل بين أنصار علي وبين طلحة والزبير، ما كان لحرب، ولكن اشتدت شكاوى الناس إليها من عظيم الفتنة، ورجوا بركتها، وطمعوا في الاستحياء منها إذا رأتها الجموع المتقاتلة، فخرجت بقصد الإصلاح بين الناس، وآثرت ذلك على خروجها للحج الذي كانت قد عزمت عليه، مقتدية بقول الله تعالى: { لا خَيْرَ فِي

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، ج٤، ص ١٢٣، الناشر: مكتبة الخانجي– القاهرة، بدون تاريخ.

كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ} [النساء: ١١٤][١]

وقالت الخطبة يوم الجمل ؛ لتوضح حسن نيتها، وأنها لم تخرج إلا بغرض الإصلاح وما تبغي فتنة أبدًا، ولا تطلب إلا الأخذ بدم عثمان رضي الله عنه .

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها :

" أيها الناسُ صهٍ صهٍ؛ إنّ لي عليكم حقُ الأمومةِ، وحقٌ الموعظة؛ لا يتهمُني إلا من عصى ربَّه؛ مات رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليه وسلمَ بينَ سحرِي ونحرِي؛ فأنا إحدى نسائهِ في الجنةِ، له ادّخرَني ربِي وخلّصني من كلّ بضعٍ ؛ وبي ميّز مؤمنُكم من مُنافقِكم، وبي أرخص اللهُ لكم في صعيدِ الأبواءِ.

ثُمّ أَبِي ثــاني اثنــين اللهُ ثالثُهمــا " [٢]" ورُوِيَ: رَابِــعُ أَرْبَعَــةٍ مــن المسلمين"[٣]

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، ج٢٢، ص١٣، الناشر: دار الفكر المعاصر– دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ.

[٢] العقد الفريد، لابن عبد ربه،جـ ٤، ص ٢١٦، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١، ١٤٠٤ هـ.

[٣] الفائق في غريب الحديث والأثر، للزمخشري، تحقيق علي محمد البجاوي– محمد أبو الفضل إبراهيم، جـ ٢ ص ١٦١ وما بعدها، الناشر: دار المعرفة لبنان، ط ٢، بدون تاريخ.

" وأولُ من سُمِّيَ صدّيقًا، مضى رسولُ اللهِ – صلى اللهُ عليه وسلمَ – راضيًا عنْهُ؛ وطَوّقه أعباءَ الإمامةِ، ثم اضطربَ حبلُ الدينِ بَعدهُ؛ فمسكَ أبِي بطَرفِيه، ورَتقَ لَكم فتقَ النِفاق، وأَغاضَ نبعَ الردةِ،

وأَطفأَ ما حشَّت يهودُ؛ وأنتم يومئذٍ جحظُ العيونِ، تنظرون العدوةَ، وتسمعون الصيحةَ؛ فرأبَ الثّأيَ، وأَوَّدَ من الغلظةِ، وامتاحَ من الهُوّةِ ؛ حتى اجتحَى دفينَ الداءِ؛ وحتى أَعطنَ الواردَ، وأوردَ الصادرَ، وعلَّى الناهلَ ؛ فَقَبَضَهُ اللهُ إليه واطئًا على هاماتِ النِفاق، مذكيًا نارَ الحربِ للمشركينَ؛ فانتظمت طاعتُكم بحبلِهِ

فولَّى أمركُم رجلًا مرعيًا إذا رُكِنَ إليه، بعيدًا ما بينَ اللابتينِ إذا ضَلَّ، عركةً للأذاةِ بجنبِه صفوحًا عن أذاةِ الجاهلينَ، يقظانَ الليلِ في نصرةِ الإسلامِ؛ فسلكَ مسلكَ السابِقيه؛ ففرقَ شملَ الفتنةِ، وجمّعَ أعضادَها ما جمّعَ القرآنَ.

وأنا نصبُ المسألةِ عن مسيرِي هذا؛ لم ألتمسْ إثمًا، ولم أورثْ فتنةً أُوطِئكُموها" (١)

" وَإِنِّي أَقبلْتُ أطلبُ بِدَمِ الإِمَامِ المركوبةِ مِنْهُ الْفِقَرُ الْأَرْبَعُ فَمنْ ردنا عَنهُ بِحَقٍ قَبِلْناه وَمنْ رَدَّنَا عَنْهُ بباطلٍ قَاتَلْنَاهُ فَرُبمَا ظهرَ الظَّالِمُ على الْمَظْلُومِ وَالْعَاقبَةُ لِلْمُتقينَ " (٢).

" أقولُ قولي هذا صدقًا وعدلًا، وإعذارًا وإنذارًا؛ وأسألُ اللهَ أن يُصلِّي على محمدٍ، وأنْ يَخْلُفَهُ فيكم بأفضلِ خلافةَ المرسلينَ". (٣)

---

(١) العقد الفريد،جـ ٤، ص ٢١٦.

(٢) الفائق، جـ ٢، ص ١٦١.

(٣) العقد الفريد،جـ ٤، ص ٢١٦.

المبحث الأول

من دقائق تعبير أم المؤمنين ﵂ في حديثها عن علاقتها برسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وميزاتها في الخطبة

النص:

" أيها الناسُ صهٍ صهٍ؛ إنّ لي عليكم حقُ الأمومةِ، وحقٌ الموعظة؛ لا يتهمُني إلا من عصى ربَّه؛ مات رسولُ اللهِ ﷺ بينَ سحرِي [١] ونحـــرِي؛ فأنا إحدى نسائهِ في الجنةِ، له ادّخرَني ربِي وخلّصني من كلّ بضعٍ ؛ وبي ميّز مؤمنُكم من مُنافقِكم [٢]، وبـــي أرخـــص اللهُ لكـــم فـــي صـــعيدِ [٣] الأبواءِ[٤]"[١]

---

[١] السحر :الرئة وَالْمرَاد الْموضع المحاذي للسحر من جَسدهَا، الفائق، جـــ٢ ص١٦١.

[٢] تشير إلى حادثة الإفك.

[٣] الصعيد: التراب أو وجه الأرض، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، ج ١، ص ٣٠٣، الناشر: المكتبة العلمية بيروت– لبنان بدون.

[٤] والأبواء: قرية بها قبر آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم، تشير إلى ما حدث ببركتها من ترخيص المولى– جل وعلا– للمسلمين في التيمم إذا لم يجدوا ماء يتوضؤون به، وفي الحديث: "عن عائشة ﵂: قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم " في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي، فأقام رسول الله على التماسه، وأقام الناس معه وليسوا على ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق ﵁ فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم والناس، وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسول الله قد نام، فقال: حبست رسول الله والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فقالت عائشة: فعاتبني أبو بكر، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي، فقام رسول الله حين أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم، فتيمموا، فقال أسيد بن

التحليل:

ضَمنَّتْ أم المؤمنين ﵂ مقدمة خطبتها ما يدل على الموضوع وهو غضبها من اتهامها بسوء نيتها، ورغبتها في إثارة الفتنة، وذلك يتضح من خلال قولها ﵂:

"لا يتهمني إلا من عصى ربه"، وهذا من شروط الخطابة الجيدة، ففي المطلع حسن ابتداء، وبراعة استهلال [٢] ؛ إذ السيدة عائشة ﵂ بدأت كلامها بالإشارة إلى ما سِيقَت الخطبة لأجله، فقد جاء مطلع الخطبة دالًا على ما بُنيَت عليه مشعرًا بغرض السيدة عائشة ﵂ من غير تصريح بل بإشارة لطيفة، وقد أشار البلاغيون إلى دور هذا المُحَسن في التأثير على المتلقي، وجعلوه من محسنات الكلام. وما سُمِي هذا النوع، براعة الاستهلال إلا لأن المتكلم يُفهم غرضه من كلامه عند ابتداء رفع صوته به، فبراعة الاستهلال تهيئ الناظر لتأمل الكلام، وتصور له زبدة الموضوع، وتكمن براعة الإبداع البياني في هذه الخطبة في قدرة السيدة عائشة ﵂ على الدخول في الموضوع بسلاسة ويسر، وقد هيأته لمعرفة ما فيه، وصوّرت بعبارة موجزة خلاصة الموضوع وهو: وجه النص

الحضير "بصيغة التصغير" ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، قالت: فبعثنا البعير الذي كنتُ عليه، فأصبنا العقد تحته "، راجع الحديث كاملًا في باب التيمم من صحيح البخاري ١: ٧٠، وصحيح مسلم ١: ١٤٦".، ينظر جمهرة خطب العرب، ج ١ ص٣٠٣.

[١] العقد الفريد لابن عبد ربه،جـ ٤، ص ٢١٦.

([٢]) براعة الاستهلال: " أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب حال المتكلم فيه ويشير إلى ما سيق الكلام لأجله". ينظر الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني،ج ١،ص٣٩٢، الناشر: دار إحياء العلوم– بيروت، ط: ٤، ١٩٩٨م ـــ.

والانطباع الأول عنه، وإشارة البدء إلى قلوب المتلقين، يقول ابن رشيق: (إن حسن الافتتاح داعية الانشراح ومطية النجاح)، [١] لأنه ضرب من ضروب الصنعة التي يقدمها أمراء البيان، وجهابذة الألفاظ.

(وينبغي للخطيب إذا ارتجل خطبة، والبليغ إذا افتتح رسالة، أن يكون ابتداء كلامه دالًّا على انتهائه، فالابتداء أول ما يقرع السمع، فإن كان عذبًا، حسن التركيب، صحيح المعنى، أقبل السامع على الكلام فوَعَاه، وإلا أعْرَض عنه، وإن كان الباقي في غاية الحسن) [٢].

ولعل وعي أم المؤمنين ﵂ بأهمية الاستهلال، أثار غريزة القارئ وحب الاستطلاع لديها، والاستهلال اللافت هو ما يكون غالبًا مستهلًا بأساليب الإنشاء، وهو ما فعلته أم المؤمنين ﵂ ، فقد استهلت خطبتها بأسلوب الإنشاء: النداء المعقوب بالأمر "أيها الناس صهٍ صهٍ"؛ ، فهذا الاستهلال إنما هو اللمسة الفنية البكر التي تطمح في أن تجتذب القارئ، وتبقيه متشوقًا إلى أن يتوغل في أعماق النص.

والغرض من أسلوب النداء الذي صدَّرت به أم المؤمنين خطبتها الجليلة في قولها: "أيها الناس" هو التنبيه للعقل، واللفت للذهن، والتهيئة للنفوس لما يأتي عقب النداء وهو، طلب الصمت من المخاطبين وإنصاتهم لها بتركيزٍ، وللإشارة إلى أنها تناديهم لأمر خطير ومهم.

---

[١] العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق، تحقيق محي الدين عبد الحميد، ج ١، ص ٧١، الناشر: دار الجيل – بيروت، ١٩٨١ مـــ.

[٢] الوشاح على الشرح المختصر لتلخيص المفتاح، محمد الكرمي الحويزي، ج٣،ص ٢٥٤، ١٣٧٥ هـــ.

والنداء يحقق فاعلية التواصل بين المتكلم والمخاطب من خلال السياق، ويُظهِر غرض كل منهما، فيشخص المشهد أمام المتلقي، ليذهب بعقله كل مذهب، فيتصور أن هناك حوارًا فيه حركة وجاذبية بين الطرفين.

وعاون حذف حرف النداء على دخول أم المؤمنين ﵂ في الموضوع الذي أرادت التحدُثَ فيه في أقرب وقت وبأقصى سرعة؛ وهو توضيح سبب مجيئها إلى البصرة، كما يشعر برغبتها ﵂ في الانتهاء من الحديث معهم حتى ولو كان هذا عن طريق حذف حرف النداء.

ولأنها أرادت إنصاتهم الشديد وتركيزهم التام لها ألقت إليهم اسم الفعل الأمر مكررًا " صهٍ

صهٍ"، وقد قصدت من هذا الأمر حثهم على سماعها وفهم وجهة نظرها، وقد أدى تكرار الأمر إلى تأكيد طلبها وتقريره في النفوس، كما أشعر هذا التكرار بغضبها القوي ﵂ وانزعاجها الشديد من كلامهم.

وفي إيثارها لصيغة اسم الفعل الأمر ما يوحي برغبتها الأكيدة في صمتهم التام، فهي لم تعد تطيق سماع أصواتهم؛ إذ كان يُضَايقَها حتى همسهم، فقد كانوا في ما بينهم في همسهم يتهمونها، وهي كانت تعلم ذلك جيدًا.

ولأن بيان ما لها ﵂ حقوق أولًا أهم من بيان من هم الذين عليهم حق لها، قدمت ﵂ الجر والمجرور" لي"، على الجار والمجرور "عليكم"؛ إذ بينت بهذا التقديم وأوضحت أن لها عليهم حقوقٌ، وكأنها تذكرهم بهذا الأمر في بداية كلامها؛ علهم بهذه الطريقة يسمعونها بقلوبهم قبل آذانهم، فيقتنعون بكلامها ويؤمنون بفكرتها التي جاءت من أجلها، وهي المطالبة بدم عثمان ﵁، كما أن في تقديمها ﵂ للمسند تشويقٌ

إلى سماع المسند إليه، "حق الأمومة وحرمة الموعظة "، فقد جذب التقديم القلوب وشغل العقول، وهيَّء النفسَ لقبول المسند إليه، فلمّا ذكرته ﵂ ازداد المعنى قوة وتمكناً وهدأت نفس المتشوق، وسكن وجدانه واطمأن فكره.

وبهذا نلاحظ أن التقديم هنا لم يقتصر غرضه على العناية والاهتمام ولكن تعانق معه التشويق وتآزر، وفي هذا يقول الإمام عبد القاهر: (لا يكفي أن يقال قدم للعناية:

وقد وَقعَ في ظنونِ الناسِ أَنَّه يكفي أنْ يقالَ: "إنه قُدِّم للعناية، ولأنَّ ذكْرَه أَهمُّ"، مِنْ غير أن يُذْكَر، مِنْ أين كانت تلك العنايةُ؟ وبمَ كانَ أهمَّ؟ ولِتخيُّلِهم ذلك، قد صَغُر أمرُ التقديمِ والتأخيرِ في نفوسهم، وهَوَّنوا الخَطْبَ فيه، حتى إنك لتَرى أكثرَهم يَرى تَتبُّعَه والنظرَ فيه ضربًا من التكلُّف، ولم ترَ ظنًّا أَزرى على صاحبهِ من هذا وشبهه) [1].

وقد حققت أم المؤمنين ﵂ الإيجاز والاختصار بإضافتها "حق" إلى "الأمومة"، فكان من الممكن أن تقول : (الحق الذي هو على الولد لأمه)، لكن المقام يضيق عن ذكر كل هذه العبارة، فهي تريد ﵂ أن تقول ما في خاطرها بأقل الألفاظ وأوجزها حتى تصل إلى المطلوب بأقصى سرعة، وقد أكسبت الإضافةُ كذلك المضافَ "حق" تشريفًا وتعظيمًا، وأشعرت بأهميته، فلا أشرف ولا أعظم ولا أهم من الأمومة.

وأما إضافة "حق" إلى "الموعظة"، فلتذكيرهم بوضعها الديني، ومنزلتها العلمية الرفيعة في الإسلام وعند المسلمين، فقد كانت فقيهة

---

[1] دلائل الإعجاز، الإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق الشيخ محمود محمد شاكر أبو فهر، ص ١٠٨، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

واعظة من الدرجة الأولى، وكانت تقول كلامًا يقنع العقول ، ويؤثر في القلوب، ويأخذ بالألباب .

ويأتي الخبر الذي يشعر بالتهديد والترويع في قولها ﵂: "لا يتهمني إلا من عصى ربه"، وقد جاء هذا الخبرُ عن طريق القصر، حيث قصرت ﵂ من يتهمونها على عصيان الله ﷻ،وقد اتخذت أم المؤمنين ﵂ من النفي والاستثناء طريقًا للقصر، وآثرت هذا الطريق لأنها تعلم أن كثيرًا من الذين يستمعون إليها ينكرون ما تقول أو على الأقل يتشككون فيه، وطريق النفي والاستثناء يناسب هذا المقام، وقد أشعر القصر بأن كل من يتهمها يدخل في زمرة العصاة الغاضب عليهم ربهم، وأنهم لا يتصفون بصفة أخرى غير العصيان، فهي محصورة عليهم وهم محصورون عليها لا يتعدونها إلى غيرها من الصفات، مما يوحي بسوء مصيرهم.

والتعبير باسم الموصول "من"، يخفي تحته أشخاصًا كثيرة قد اتهموا السيدة عائشة ﵂ بسوء نيتها، وأنها ما ذهبت إلى البصرة إلا لإثارة الفتن، وهؤلاء يضيق المقام عن ذكرهم، كما أن في التعبير باسم الموصول تصغير لشأنهم وتهوين لأمرهم ، فهم باتهامهم إياها يرتكبون إثمًا كبيرًا، ويحتملون بهتانًا عظيمًا.

وإضافتها للفظ رب إلى ضمير من يتهمها في قولها ﵂: "ربه"، توضح جرم ما فعلوه تجاهها من اتهامها بسوء نيتها، وأنها لا ترغب في الإصلاح؛ حيث أنهم بهذا الصنيع يعصون ربهم الذي خلقهم ورعاهم واعتنى بهم، فهم لم يضعوه ﷻأمامهم ونصب أعينهم على الرغم من أنهم خلقه المختصون به وهو خالقهم المختص بهم، وكأنها تحرجهم بهذه الإضافة وتذكرهم بأنهم خلق الله الذي يجب عليهم طاعته.

وقد أشعر تعبيرها بالفعل الماضي في قولها: "مات رسول الله ﷺ بين سحري ونحري"، بتمكن الحدث وتحقق الوقوع، وهو قربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلو منزلتها عنده، فقد مات صلى الله عليه وسلم بالفعل بين سحرها ونحرها مما يشعر بشدة ارتباطه صلى الله عليه وسلم الشديد بها رضي الله عنها، ولعل في هذا التعبير ما يوحي بقوة موقفها ويجعلها غير متهمة في نظرهم؛ إذ أبرز التعبير علاقتها القوية برسول الله ﷺ.

وجاء المسند إليه معرفًا بالإضافة "رسول الله"، وذلك للإشعار بالعلو والشرف المستشعر من مجاورة لفظ الجلالة "الله"، وهي تبغي من وراء ذلك تذكيرهم بعلاقتها بهذا الشرف العظيم، عله يكون شفيعًا لها في تصديقها وتُبريء ذمتها.

وقد سلكت أم المؤمنين رضي الله عنها أسلوب الإطناب؛ إذ جاءت بجملة اعتراضية في قولها: " صلَّى اللهُ عليه وسلم "، وقد أرادت من هذا الاعتراض الدعاء للنبي والثناء عليه صلى الله عليه وسلم ، وهذا الإطناب قد أثرى المعنى وأبرزه.

وتُلَاحظ الكناية في قولها: "بين سحري ونحري"، فقد كَنَّت أم المؤمنين رضي الله عنها بهذا القول عن علاقتها الوثيقة برسول الله صلى الله عليه وسلم وتوضح مدى ارتباطه بها رضي الله عنها، وأنه كان ارتباطًا شديدًا قويًا لا يماثله ارتباط، وأنها كانت أحب نسائه إليه؛ إذ مات على صدرها وفي حضنها رضي الله عنها، والكناية من أجمل فنون البلاغة العربية، لأنها ترمز لمراد البليغ بشكل يعجب السامع ويسافر بخياله، كما أنها تعطينا المعنى مصحوبًا بالدليل عليه، وتمنح النص الإيجاز وهو من مقاصد البلاغة، كذلك تمنحنا الإقناع والإمتاع لتذوق ما فيها من جمال، وتربأ بنا بعيدًا عن اللفظ المفحش إلى ما يدل على معناه.

والإمام عبد القاهر يضع الكناية في مرتبة أرفع من الإفصاح معللًا بذلك بأن (إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها آكد وأبلغ في الدعوى من أن تجئ فتثبتها هكذا ساذجًا غفلًا)[١].

ومما حسن اللفظ في عبارتها ﵂: الجناس بين: "سحري- نحري"، وهذا الجناس قد أحدث جرسًا موسيقيًا عذبًا يطرب الأذن ويهز الوجدان؛ وقد ساعدها ذلك على التأثير في نفوس المخاطبين وجذبهم إليها واستمالتهم، فالألفاظ المتناسبة تحدث في نفس المتلقي ميلًا وإصغاءً، وقد استدعى هذا الجناس المعنى وطلبه المقام؛ لذا كان مؤثرًا في نفوس السامعين محققًا لغايته، يقول الشيخ عبد القاهر: (وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيسًا مقبولًا ولا سجعاً حسناً حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه وحتى تجده لا تبتغي به بدلًا، ولا تجد عنه حولًا)[٢].

والإضافة في قولها ﵂: "سحري، نحري"، تشعر بالاختصاص، فالسحر سحرها هي لا سحر غيرها، والنحر نحرها هي لا نحر غيرها، وهذه الإضافة توضح علاقتها القوية برسول الله ﷺ وأنها المميزة بين نسائه؛ إذ مات رسول الله ﷺ وهي حاضنة له بين يديها وصدرها دون غيرها من زوجاته ﵂.

وآثرت أم المؤمنين ﵂ التعبير بضمير المتكلم "أنا"،في قولها "فأنا إحدى نسائه في الجنة"؛ وذلك لأن المقام مقام بيان فضل وميزة، وفخر بهذا الفضل وتلك الميزات، واعتزاز بالنفس بسبب تلك الميزات ولا أنسب من هذا الضمير للتعبير في هذا المقام.

---

[١] دلائل الإعجاز، ص ٧٠.

[٢] أسرار البلاغة، الإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق د محمد عبد المنعم خفاجي، ص ١٠، الناشر مكتبة القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٦ م.

وإضافة إحدى إلى نسائه حققت الإيجاز؛ إذ لو لم تكن هذه الإضافة لذكرت أسماء نساء النبي صلى الله عليه وسلم كلها، ثم بينت أنها واحدة من هن، لكن لما جاءت الإضافة أغنت عن هذا التفصيل المتعذر.

وأما إضافة النساء إلى ضميره ﷺ فللإشعار بالاختصاص، فنسائه عليه السلام يختصون به وهو يختص بهن، وكأنها ﵂ تشير بهذه الإضافة إلى خصوصية علاقتها برسول الله ﷺ ، فهي علاقة خاصة جدًا، علاقة حميمة قوية تجعلها مميزة عن باقي نسائه، .

وقد وجدت أم المؤمنين ﵂ في الإيجاز بغيتها إذ إنه يوصلها إلى ما تريد في سرعة، فكان قولها "في الجنة" على الإيجاز بحذف جار ومجرور آخر" والتقدير: (في الدنيا وفي الجنة) فقد أرادت أم المؤمنين ﵂ الإسراع بإخبارهم بمصيرها الذي ينتظرها والذي يشكك فيه بعض الحضور.

و(يحسن الحذف لقوة الدلالة عليه، أو يقصد به تعديد أشياء، فيكون في تعدادها طول وسآمة، فيحذف ويكتفي بدلالة الحال، وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفي بالحال عن ذكرها...، ولهذا القصد يؤثر في المواضع التي يُراد بها التعجب والتهويل على النفوس...) (١)

ومتى أظهرت المحذوف صار الكلام إلى شيء غث لا يناسب ما كان عليه أولًا من الطلاوة والحسن.

ويأتي التصوير في قولها ﵂ "ادخرني" حيث شبهت نفسها الغالية النفيسة بالمال ، ثم حذفت المشبه به وذكرت لازم من لوازمه (الادخار)

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب خوجة، ص ٦٧، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦ م.

على سبيل الاستعارة المكنية، وهذه الاستعارة توحي بنفاسة أم المؤمنين ﵂ وعلو قيمتها، وأنها كانت في الحفظ والصون حتى تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشعر بالعفاف والطهر اللذينِ كانا يحيطان بها ﵂ ويشملاها، وتكمن بلاغة الاستعارة في تجسيد المعنى وتقويته وتقريبه للأذهان، كما أظهرت الاستعارةُ المعاني المعنوية في صورة حسية، (فقد ثبت وتحقق أن فائدة الكلام الخطابي هو إثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخييل والتصوير حتى يكاد ينظر إليه عياناً)[١].

والاستعارة التي اتكأت عليها أم المؤمنين ﵂ في هذا التعبير قد حققت الاختصار والإيجاز؛ إذ أعطت المعنى الكثير باللفظ اليسير، ف(هذا التعبير تأكيدٌ للمعنى، وإلباسه ثوب المبالغة مع إبرازه في صورة محسوسة، ثم التعبير عنه بألفاظ موجزة) [٢].

وعبد القاهر يبيّنُ الفضيلة الجامعة في الاستعارة حيث يقول: (وإنَّكَ لَتِجِدُ اللفظة الواحدة قد اكتسبتَ بها فوائد حتى تراها مكرّرة في مواضعَ، ولها في كل واحد من تلك المواضع شأنٌ مفردٌ، وشرفٌ منفردٌ، وفضيلةٌ مرموقة، وخِلاَبةٌ موموقة، ومن خصائصها التي تُذكرَ بها، وهي عنوان مناقبها، أنَّها تُعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ وتُخرجُ من الصدَفة الواحدة عِدّةً من الدُّرَر، وتَجْنِيَ من الغُصْنِ الواحد أنواعًا من الثَّمر، وإنك لترى بالاستعارة الجمادَ حيًّا ناطقًا، والأعجمَ فصيحًا،

---

[١] المثل السائر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق د، أحمد الحوفي، وبدوي طبانة،ج٢،ص ٣٥، الناشر: مكتبة نهضة مصر– الفجالة، بدون تاريخ.

[٢] القرآن والصورة البيانية، د. عبد القادر حسين، ص٢٠٠، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥ – ١٩٨٥م.

والأجسامَ الخُرسَ مُبينةً، والمعاني الخفيّةَ باديةً جليّةً، إنها لتريك المعانيَ اللطيفةَ التي هي من خبايا العقل، كأنها قد جُسِّمت حتى رأتها العيون، وإنها لتنفثُ في الأوصاف الجسمانية سحرها فتعود تلك الأوصاف الجسمانية رُوحانية لا تنالها إلَّا الظنون)[1].

ويأتي القصر ليتآزر مع الاستعارة في إيصال المعنى وتثبيته في قولها ﵂: " له ادخرني ربي" وطريق القصر هذه المرة: التقديم، حيث قصرت ادخارها وحفظها عليه صلى الله عليه وسلم وخصته بها دون غيره، وأفاد هذا القصر تأكيد المعنى المراد وهو علو منزلتها وارتفاع شأنها، وتميزها بشيء تتفرد به عن غيرها من زوجاته ﷺ ، كما أفاد القصرُ الإيجازَ، فقد اختصرت جملة القصر جملتين والتقدير: (ادخرني له الله ولم يدخرني لغيره).

وتشعر إضافة رب إلى ضميرها بالاختصاص، فكأن ربها يختص بها دون غيرها فهي تفخر وتزهو بذلك وكأنه ربها لا رب سواها، كما تكشف الإضافة عن ضعفها الشديد واحتياجها القوي إلى رحمة ربها وعونه في هذا الموقف العصيب(اتهامها برغبتها في إيقاع الفتن بين المسلمين).

وقولها ﵂:" وخلصني من كل بضع، " كناية عن عدم زواجها من غير رسول الله ﷺ،وهذه الكناية تشعر ببكارتها قبل زواجها من رسول الله ﷺ ونفي كل نكاح عنها، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد تفرد وفاز بهذه الجوهرة النفيسة التي لم تمس من أحد قبله، وكأنها تومئ بهذا القول إلى أنها هي الوحيدة التي تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم من بين زوجاتهبكرًا ، وهي تزهو بذلك وتفتخر ؛ لذا أضافت كل إلى بضع في

---

[1] أسرار البلاغة، ص ٤٢-٤٣.

قولها ﵂: " كل بضع" حيث يشعر المضاف بالعموم، فلم تكن زوجة إلا له صلى الله عليه وسلم، فقد قالت ﵂: " لقد أُعطيتُ تسعًا ما أُعطيتها امرأة بعد مريم بنت عمران... ومنها: لقد تزوَّجني رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرًا، وما تزوَّج بكرًا غيري [١].

وبلاغة الكناية تكمن في تحسين المعنى، حيث تضفي الكناية عليه جمالًا فنيًا رائعًا يخرج ما في النفس من أحاسيس ومشاعر كامنة بطريقة فنية، حيث تجعل الكلام مشوقًا بخلاف الحقيقة.

إن الكناية (من أروع الفنون البيانية وأرقى الطرق البلاغية التي يعبر بها المتكلم عن المعنى الذي يريده تعبيرًا موجزًا هادفًا لطيفًا، يخفي وراء ظلاله أهدافًا ولطائف يريدها ويقصدها) [٢].

ويلاحظ تعانق المجاز المرسل مع الكناية في قولها ﵂:"بضع" حيث أطلقت البضع وهو جزء وأرادت الزواج وهو كل، وهذا المجاز قد أبرز أهمية البضع بالنسبة للزواج، وأنه ذو علاقة قوية به ولا يتحقق الزواج إلا من خلاله، ونلحظ (أن الأساس النفسي للمجاز المرسل هو تداعي المعاني إذ إن هذا المجاز يسوغه التلازم الذهني، فالسبب والمسبب متلازمان ذهنًا وزمانًا ومكانًا، وكذلك الكل والجزء، والحال والمحل) [٣].

---

[١] مسند أبي يعلى ٤٦٢٦، والبوصيري: إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة ٧،٢٤٩، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٣٠٧.

[٢] من الأسرار البيانية في الكناية القرآنية، الدكتور حمزة الدمرداش زغلول، ص ٦، الناشر: المطبعة الإسلامية الحديثة ،ط: الأولى، ١٩٨٨ م.

[٣] البيان في ضوء أساليب القرآن الكريم، أ.د عبد الفتاح لاشين، ص ١٥٨، الناشر: دار الفكر العربي– القاهرة، ٢٠٠٤م.

فالمجاز في هذا التعبير أجمل من الحقيقة، ويعضد هذا الكلام كلام ابن رشيق:

(والمجاز في كثير من الكلام يأتي أبلغ من الحقيقة وأحسن موقعًا في القلوب والأسماع)(١).

ولإدراك أم المؤمنين قيمة القصر جيدًا في إيصال الفكرة وتثبيتها في الأذهان استخدمته مرة أخرى في قولها ﵂ "وبي ميز منافقكم من مؤمنكم"؛ إذ قصرت أم المؤمنين تمييز المنافقين من المؤمنين عليها وبها قصرًا حقيقيًا ادعائيًا، وهذا القصر جاء عن طريق التقديم، حيث رأت ﵂ في هذا الطريق المزيد من التخصيص والحصر، فتمييز المنافق من المؤمن قاصر ومحصور عليها لا يتعداها إلى غيرها، وقد أظهر هذا القصر مزية أخرى من الميزات الكثيرة التي كانت تتمتع بها أم المؤمنين ﵂ وهي أنها كانت سببًا في معرفة المؤمن من المنافق، وهي تشير إلى حادثة الإفك بهذا الكلام، وهذا التعبير يوحي بصحتها النفسية وإجابيتها؛ إذ حولت المحنة والشدة التي تعرضت لها في حادثة الإفك إلى منحة ميزت بها المؤمن من المنافق.

وقد طابقت بين قولها ﵂: "منافقكم" وقولها: "مؤمنكم"، وقد أبرز الطباق المعنى وأوضحه وهو المفارقة الكبيرة والهوَّة البعيدة بين النفاق والإيمان، وأنهما ليسا شيئًا واحدًا في القلب، فالنفاق يُورِث الكذب والخيانة وإخلاف الوعد، وكراهية الخير للآخرين وغير ذلك من الصفات المنفرة التي تجعل صاحبها في نظر الآخرين ممقوتًا مرفوضًا، أما الإيمان فيُورِث الصدق والأمانة والوفاء وحب الخير للآخرين، وغير ذلك من الصفات

(١) العمدة، ج ١،١٨٤.

الطيبة التي تجعل صاحبها محبوبًا متقبَّلًا، وتجعله يشعر بالراحة والطمأنينة، فالبون بينهما شاسع والفرق بينهما شديد، ولم يكن الطباق في هذا التعبير مجرد محسن بديعي فحسب؛ بل إنه قد منح المعنى الذي أرادته أم المؤمنين سعة وإحاطة وشمولية.

فالطباق مع تجميله اللفظ (يؤدي غرضًا معنويًا حيث يستوعب الحكم كاملًا، كما يأتي لعقد مقابلة حسية ونفسية أو زمانية ومنه ما يكتشف أجزاء القضية ويبرز أطرافها، مما يؤكد أن الطباق من الأمور الفطرية المذكورة في الطباع، إذ الضد أقرب حضورًا بالبال عند ذكر ضده)[١].

وتكشف أم المؤمنين ﵂ عن ميزة جديدة من الميزات التي تميزت وتفردت بها في قولها ﵂: "وبي أرخص الله لكم في صعيد الأبواء"، حيث قصرت سبب ترخيص الله في التَيَمُّمِ للمسلمين عليها، وقد اتخذت من التقديم طريقًا للقصر كذلك، وهذا القصر يوحي بأن الترخيص هذا لم يكن إلا بسببها ومن أجلها، وأن ذلك الترخيص لا يتعداها إلى غيرها.

والإضافة في قولها ﵂: "صعيد الأبواء" توحي بالاختصاص؛ فالتراب الذي تقصده هو التراب الخاص بقرية الأبواء وقد قيل إنها هي القرية الموجود بها قبر السيدة آمنة بنت وهب والدة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالإضافة حددت مكان التراب الذي رُخِّص فيه لأول مرة بالتَيَمُّمِ.

وقد وصلت أم المؤمنين ﵂ بين الجمل الأربع: " له ادخرني ربي، وخلصني من كل بضاعة، وبي ميز منافقكم من مؤمنكم، وبي أرخص الله لكم في صعيد الأبواء" وذلك لما بين الجمل من التوسط بين الكمالين،

---

[١] البديع– رؤية جديدة، د، عبد الله دراز، ص ١٤، بدون.

لاتفاقها في الخبرية لفظًا ومعنىً، كما أن الجمل اشتركن في أن كلًا منها بيان لميزة من ميزات السيدة عائشة ﵂ والمسند إليه فيها واحد وهو الضمير العائد على الله ﷻ مما جعل المناسبة بين الجمل قوية مستدعية للوصل، (فالتناسب بين المعطوف والمعطوف عليه من الأمور الضرورية، وذلك لتمام الملاءمة بينهما، فيكونا نظيرين أو شريكين أو غير ذلك من أنواع المناسبة التي تجمع بينهما)[١].

وكان الوصل بين الجمل بالواو لتحقق المشاركة المطلقة في الإشعار بتميز السيدة عائشة ﵂ وإثبات الفضل لها على غيرها، ولهذا التناسب الواضح والترابط الوثيق بين تلك الجمل حسن الوصل والربط بينها بواو العطف(فإن من شأن التناسب أن يزيد الوصل حسنًا ويضفي عليه جمالًا وبهاءً) [٢].

(وهذه المناسبة بين الجمل ضرورية لصحة نسق الكلام وتلاوته، وكلما كان الامتزاج بين الجملتين أشد تلاؤمًا، كانت الواو أكثر تمكنًا وأحكم إصابة) [٣].

---

[١] من أسرار التعبير في القرآن حروف القرآن، أ.د عبد الفتاح لاشين، ص ٧٧، الناشر: دار عكاظ للنشر والتوزيع،الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣.

[٢] التصوير البياني للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف، أ. د علي علي صبح، ص ١٠٣،الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث،.بدون تاريخ.

[٣] دلالات التراكيب دراسة بلاغية، أ. د محمد محمد أبو موسى، ص ٢٨٥،الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة:الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م.

المبحث الثاني

من دقائق تعبير أم المؤمنين رضي الله عنها في حديثها عن أبيها ومناقبه الجليلة في الخطبة

النص:

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها مستطردة:

" ثم أبي ثاني اثنين اللهُ ثالثُهما" [١] " ورُوِيَ: رَابِعُ أَرْبَعَةٍ من الْمُسلمينَ[٢]"[٣].

" وأولُ من سُمِّيَ صدِّيقًا، مضى رسولُ اللهِ – صلى اللهُ عليه وسلمَ – راضيًا عنْهُ؛ وطَوَّقه أعباءَ الإمامةِ، ثم اضطربَ حبلُ الدينِ بَعدهُ؛ فمسكَ أبِي بطَرفِيه، ورَتقَ لَكم فتقَ النِفاق، وأَغاضَ نبعَ الردةِ،

وأَطفأَ ما حشَّت يهودُ؛ وأنتم يومئذٍ جحظُ العيونِ، تنظرون العدوةَ، وتسمعون الصيحةَ؛ فرأبَ الثّأيَ، وأَوَّدَ من الغلظةِ، وامتاحَ من الهُوَّةِ ؛ حتى اجتحَى دفينَ الداءِ؛ وحتى أَعطنَ الواردَ، وأوردَ الصادرَ، وعلَّى الناهلَ ؛ فَقَبَضَهُ اللهُ إليه واطئًا على هاماتِ النِفاق، مذكيًا نارَ الحربِ للمشركينَ؛ فانتظمت طاعتُكم بحبلِهِ " [٤]

التحليل:

وحرف العطف "ثم" في قولها رضي الله عنها " ثم أبي ثاني اثنين الله ثالثهما" يشير إلى بعد المسافة المعنوية بين منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم

---

[١] العقد الفريد، جـ ٤، ص ٢١٦.

[٢] الفائق في غريب الحديث والأثر، جـ ٢، ص ١٦٢.

[٣] السابق، ص ١٦١.

[٤] العقد الفريد،جـ ٤، ص ٢١٦.

ومنزلة أبيها ﵂، فأبو بكر ﵁ وإن كان قريبًا من قلب الرسول صلى الله عليه وسلم وكان صديقًا له إلا أن مكانته كانت أقل قدرًا من مكانة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنزلة النبي صلى الله عليه وسلم لا يدانيها منزلة وشرفه لا يضاهيه شرف، كما يشير استخدام حرف العطف" ثم" إلى الإمهال والتراخي الزمني بين الوقت الذي اتصف فيه أباها ﵂ بهذه الصفة والوقت الذي قالت فيه مقالتها هذه، فبينهما أعوام مديدة وسنوات طوال، ف " ثَمَّ" تجعل القارئ يقرأ الأحداث على مكث وتأمل، فهي نقطة فاصلة بين زمنين؛ زمن اتصاف أبيها بذلك الوصف وتحمل تبعاته والزمن الذي قالت فيه هذا الكلام مفتخرة بأبيها معتزة به.

وقد أضافت أم المؤمنين ﵂ لفظ الأُبوة إلى ضميرها في قولها ﵂ "أبي" لأن هذه الإضافة أقصر الطرق لإحضار أبيها في ذهن المخاطبين، وأكثرها اختصارًا، وهي في تلك اللحظة تشعر بالضعف الشديد ، وأنها في أمس الحاجة إلى أبيها ليقف بجانبها في هذا الموقف العصيب الذي لم تتخيل أن تقفه من قبل، فالأب يشد ظهر الولد وخصوصًا الابنة ، فهي ﵂ تستحضر أباها وقوته، وقدره ومنزلته ليكون عوناً لها أمام هؤلاء في تلك اللحظات .

وتشعر الإضافة كذلك بافتخار أم المؤمنين بأبيها أبي بكر ﵁ واعتزازها به، فالذي يتصف بالصفات التي ستتحدث عنها لاحقًا هو أبوها هي لا أبا أحد سواها، .

ويلاحظ حذف المسند إليه في قولها السابق والتقدير: (هذا أبي، أو هو أبي)، وذلك لتصل إلى مبتغاها في سرعة، وهو بيان مناقب أبيها ومفاخره، وكأنها لو ذكرته لكان عائقًا في الوصول إلى هدفها، كما يكشف

الحذف عن ضيقها الشديد من مخاطبيها وعدم رغبتها في إطالة الكلام معهم واختصار الكلام التي توجهه لهم.

ويلاحظ اقتباسها ﵂ قولها: "أبي ثاني اثنين الله ثالثهما" من القرآن الكريم([١]) ، وقد أفاد الاقتباس هنا تقوية فكرتها وتأييد موقفها، وقد أضفى الاقتباس جمالًا على كلامها وتزييناً جعله أكثر تأثيرًا في نفوس مخاطبيها، فالسيدة عائشة ﵂ كانت تبذل قُصارى جهدها لتثبت براءتها من تهمتها(إيقاع الفتنة بين المسلمين).

والإضافة في قولها ﵂ "ثاني اثنين" توحي بشرف المضاف (أبو بكر﵁) وعظمة المضاف إليه (رسول الله – صلى الله عليه وسلم –)، وكأنها بهذه الإضافة تذكرهم بغار ثور الذي اختبأ ﵁ فيه ومعه الرسول صلى الله عليه وسلم وبتلك الحالة الحرجة الشديدة ، حين انتشر الأعداء من كل جانب يطلبونهما ليقتلوهما، فأنزل اللّه عليهما من نصره ما لا يخطر على البال.

وللفظ الجلالة في قولها: "الله ثالثهما" يصور إلى أي مدى كانت السكينة والطمأنينة تخيم على المكان الذي يتستر فيه الاثنان، ويوضح الإيناس والهدوء الذي كان يشعران به في تلك اللحظات، وقد أرادت كذلك باستخدامها للفظ الجلالة إدخال الروعة والجلال والمهابة في قلوب سامعيها المُتهِمين لها بسوء نيتها في المطالبة بدم عثمان﵁، فقد آثرت الاسم الأعظم ليكون أحرى بإزالة ما قد علق بأذهانهم تجاهها، علهم بذلك يتقون الله، ويبرؤوا ذمتها من كل تهمة؛ لأن لفظ الجلالة باعتباره اسماً علمًا

([١]) { إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ}، سورة التوبة (٤٠)

للذات العلية يجمع كل صفات الكمال، فلفظ الجلالة بما يحتويه من صفات الكمال يروع ويهدد القلوب العاصية المتمردة على أوامر الخالق، ويُطمْئن القلوب الطائعة المستسلمة لبارئها .

وفصلت جملة: "الله ثالثهما" عن ما قبلها؛ لأن الجملة الأولى أثارت سؤالًا كانت الجملة الثانية بمنزلة الجواب عليه، والتقدير: (هل كان يوجد معهما ثالث) فقيل: "الله ثالثهما"، فالفصل لشبه كمال الاتصال، (وبلاغةُ هذَا الضربِ تكمنُ فِي أنَّ الجملةَ الأولَى تثيرُ فِي النفسِ خواطرَ، وهواتفَ فتأتِي الثانيةُ مجيبةً عنْ هذهِ الخوالجِ وكأنَّ بذرةَ الجملةِ الثانيةِ مضمرةٌ فِي الجملةِ الأولَى، وهكذَا يتوالدُ الكلامُ وتتناسلُ الجملُ، ثُم إنَّ في طيِّ هذهِ الهواتفِ وتركِ الإفصاحِ عنَها والتعبيرُ الجهيرُ بهَا، ضربٌ منْ وجازةِ الكلامِ واختصارِه ودمجهِ واكتنازِه، ولوْ ذهبتَ تبسطُ مَا حقَه البسطُ لرأيتَ وراءَ كلِّ جملةٍ منْ هاتيكِ الضروبِ جملةً قدْ تطولُ أوْ تقصرُ ولكنَّها أُضْمِرتْ فِي تلكَ الجملةِ واكتفَي فِي الإبانةِ عنهَا باللمحةِ والإيماضةِ السريعةِ التي انعكستْ فِي تحريكِ السامعِ واستثارةِ حسهِ). (١)

وقد حققت ﵂ بإضافة رابع إلى أربعة الإيجاز والاختصار؛ إذ هذه الإضافة أغنتها عن ذكر الأربع الذين أسلموا في صدر الإسلام وهم على الترتيب (رسول الله صلى الله عليه وسلم، علي ﵁، زيد بن حارثة ﵁، أبو بكر ﵁) وقد رأينا أم المؤمنين ﵂ أكثر من مرة تتخذ من الإيجاز مسلكًا للوصول إلى بغيتها المفقودة وضالتها المنشودة، وهي إقناعهم بوجهة نظرها وسلامة نيتها.

---

(١) دلالاتِ التراكيبِ، ص ٣١٢.

وفي إيثارها التعبير بالفعل المبني للمجهول في قولها ﵂ "سُمِيَ صدِّيقًا" تفخيمٌ وتعظيمٌ وذلك لأن المُسمى معلوم من السياق لأنَّ ذلك كالمتعين الذي لا يغيب عن عقل، فالذي سمى أباها بهذا الاسم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبوحي من الله ﷻ، فإخفاءُ اسمه في هذا المقام تعظيمٌ له وتقديرٌ لمكانته؛ إذ هي ﵂ ترى أن موقف الاتهام هذا وما يحيطه من أفكار خبيثة لا تتناسب وشرف ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم، واستخدامها للفعل المبني للمجهول يبين عن قدرة العربية الفائقة على استخدامه (ضمن أساليب دقيقة مع تأدية وظيفتين في آن واحد؛ وظيفة تعبيرية، ووظيفة فنية جمالية، وفي هذه وتلك دليل ساطع على حيوية اللغة العربية وثرائها، ورد بيّن على من اتهم كفاية هذه اللغة في الوفاء بمتطلبات التعبير) [١].

وسُمِيَّ أبو بكر ﵁ بالصديق لكثرة صدقه وعظمته؛ لذا جاءت أم المؤمنين ﵂ بكلمة "صدِّيقًا" نكرة، وليس هذا فحسب بل جاءت بها على صيغة مبالغة؛ للإشعار بأنه بلغ من الصدق مبلغًا عظيمًا فخمًا بحيث لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه، وكأنها تذكرهم بأمره؛ ففي اليوم الذى كذَّب الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم صدَّقه الصديق ﵁ ، أليس بكاف أن الله تعالى لقّبه بالصاحب { إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا } [سورة التوبة / الآية: ٤٠]

---

[١] الفعل المبني للمجهول١٩، عبد الفّتاح محمد، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٢، العدد١ + ٢، 2006 م.

ثم جاءت بخبر يصور لنا فرحتها واستبشارها في قولها ﵂ : "مضى رسول الله ﷺ راضيًا عنه"، والغرض من هذا الخبر إظهار الفرح، فهي مطمئنة مستبشرة برضى رسول الله ﷺ عن أبيها قبل موته.

ويؤكد هذا المعنى تنكير كلمة: "راض" الذي يُشعر بقمة الرضا وعظمته.

وعبرت باسم الفاعل في قولها: "راض"، وذلك لأن رضا رسول الله ﷺ عن أبيها كان رضًا ثابتًا ليس متغيرًا، فلم يُرْوى ما يدل على غضبه صلى الله عليه وسلم، منه، ﵁ قط ؛ مما يشهد بدقة تعبيرها وبلاغته.

وفي تقديم اسم الفاعل على الجر والمجرور في قولها "راضيًا عنه" تعجيل بالمسرة، وإسراع بالمطلوب وهو ذكر الرضا أولًا، وهو من المعاني التي تدخل على النفوس السرور وتملأ القلوب بالتفاؤل، ثم بيان من المرضي عنه ثانيًا.

ويتضح التصوير في قولها ﵂: "طوقه أعباء الإمامة" حيث شبهت أعباء الإمامة بحبل، ثم حذفته، وذكرت شيئًا من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية، وهذه الاستعارة تصور المسؤولية التي كانت على عاتق أبي بكر ﵁ والتي حمَّلها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إياه﵁ ، فلا شك أنها مسؤولية كبيرة سيطوق بها عنقه ، وأنه ﵁ سيتحمل أمور جسيمة حتى يحافظ على النظام الإسلامي ويحمي المسلمين ، كما توحي هذه الاستعارة بالشرف والفضل اللذين كانا يُطَوّق بهما أبو بكر ﵁ لما تولى أمر المسلمين وإدارة شؤونهم، وأن الروعة والجلال الإلهي كانت تغمره ﵁ ، ويشعر التصوير كذلك بالتزام أبي بكر ﵁ بكل ما أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم من قواعد وأحكام، فلم يُدخِل الهوى في حكمه، بل كان يحكم بما ورد في الكتاب والسنة، ولم يخرج عنهما

أبدًا، وقد حققت الاستعارة الإيجاز والاختصار في العبارة مع القدرة على تركيز الفائدة، وعدم الإخلال بالمعنى المراد.

وآثرت أم المؤمنين التعبير بالفعل الماضي في قولها: "طوَّقه" وذلك للإشعار بتحقق هذا الأمر ووقوعه وقوعًا حقيقيًا لا شك فيه ولا مراء؛، فهي رضي الله عنها تعلم أن بعض المخاطبين معتقدون أن أباها تعدا على عليٍّ رضي الله عنه بأخذه الخلافة منه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرادت أن تنفي هذا وتثبت أنه صلى الله عليه وسلم هو الذي عهد إليه بالأمر، فقد اتخذت من التعبير مطية لتصل إلى هذا المعنى.

والتعبير بجمع الكثرة في قولها: "أعباء الإمامة"، مع الإضافة توحي بثقل وكثرة أعباء هذه الإمامة وشدة صعوبتها على المطوق بهذا الأمر، وأنه رضي الله عنه قد واجهته مشاق وقابلته صعوبات ومتاعب لم يستطع تحملها إلَّا بعون من الله عز وجل.

وحذفت رضي الله عنها المسند إليه؛ حتى تفسح المجال لخيال السامعين ليتخيلوا ما يتخيلون من عظمة وجلال المُكَلِف لأبي بكر رضي الله عنه بهذا الأمر وهو رسول الله ﷺ ، ولإيجاز الحذف هنا دلالته فالمحذوف معلوم للسامعين، وما على السامعين إلَّا أن يذهبوا فيه كل مذهب، فالحذف: (باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك تري به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانًا إذا لم تبن... [١].

وحرف العطف ثُم في قولها" ثُم اضطرب حبل الدين بعده: " يشعر بأن هناك فترة من الاستقرار والهدوء وإن كانت قصيرة قد مرت على أبي

---

[١] دلائل الإعجاز، ١٧٨.

بكر ﷺ قبل اضطراب أمور الدين وأن الردة لم تحدث عقب توليه الخلافة بل كان هناك إمهال وتراخي؛ لذا كان حرف العطف ثُم أنسب لالمقام.

والفعل الماضي، "اضطرب" يوحي بتحقق الاضطراب في الدين ووقوعه وقوعًا حقيقيًا ، فقد حدثت الردة في خلافة أبي بكر ﷺ، وقد تصدى لها بكل ما أوتي من قوة.

ويلاحظ التشبيه البليغ في قولها ﷺ: "حبل الدين" حيث شبهت الدين بالحبل في أن كلًا من هما وسيلة للإنقاذ من المهالك، وهذا التشبيه يشعر بأن الدين هو طوق النجاة لكل أحد ولا بد من الاعتصام والتمسك به، ويوضح إلى أي مدى كان الدين متماسكًا متصلًا بعضه ببعض، ثم اضطرب في خلافة أبي بكر ﷺ مما يوحي بكثرة المشكلات التي كان يواجهها ﷺ، ففي التشبيه إثارةٌ للمتلقي وعمقٌ في تناولِ المعاني، و(للتّشبيه: روعة وجمال، وموقع حسنٌ في البلاغة، وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي، وإدنائه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعة ووضوحًا ويكسبُها جمالًا وفضلًا، ويكسوها شرفًا ونُبلًا، فهو فن واسع النطاق، فسيح الخطو، ممتدُ الحواشي مُتَشعب الأطراف مُتوعر المسلك، غامض المدرك، دقيق المجرى غزير الجدَوى)[1].

وتتضح الكناية في قولها ﷺ "فمسك أبي بطرفيه"؛ إذ كَنَّت بهذا القول عن لم أبي بكر ﷺ للشمل المسلمين وجمع كلمتهم، وأفئدتهم على

---

[1] جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي،ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، ج١، ص ٢١٩، الناشر: المكتبة العصرية–بيروت، بدون تاريخ.

الإسلام مرة أخرى بعد ردتهم، وهذه الكناية توحي بأنَّ أبا بكر ﷺ قد أمسك بزمام الأمور وكان مسيطرًا على الأوضاع بحيث استطاع القضاء على الفتنة، والكناية لون من ألوان التصوير، (يستعان به على رسم الصورة البيانية، فيمنح التعبير جمالًا، ويهب المعنى قوة ورسوخًا)[١]، وذلك لما تحمله الكناية من ستر للمعنى المراد مع خفاء لطيف يحبب للنفس عند استنباطه وظهوره.

والفاء في قولها ﷺ: "فمسك أبي بِطَرفيه" توحي بسرعة أبي بكر في الأخذ على يدي العصاة والمرتدين، فأبو بكر لم يتوانَ أو يتباطأ في محاربة المرتدين، بل نجده قد هب ونهض فور شعوره بذلك الاضطراب وتلك الفوضى التي أحدثها بعض عصاة المسلمين وقاتلهم حتى عادوا إلى رشدهم وانتهت الفتنة.

فالفاء(تجعل أول ما دخلت عليه موصولًا بآخر ما عطفت عليه، وكأنها عروة يمسك بها الحدث بالحدث، والفعل بالفعل، والقول بالقول، والحركة بالحركة، وتنتج لك من كل هذه الأحداث والأقوال والأفعال والانفعالات صورة واحدة وفعلًا واحدًا قد كونته كل هذه المكونات) [٢]، وربما كان هذا سبب كثرة الفاءات في نص أم المؤمنين ﷺ.

ولعلها وضعت المظهر موضع المضمر في قولها: "فأخذ أبي" لإبراز كمال العناية بتمييز أبيها أكمل تمييز، بالإضافة إلى اختصاصه بالحكم (لَمِّ شمل المسلمين وإخماد الفتنة).

---

[١] الصورة الفنية في الشعر العربي، إبراهيم بن عبد الرحمن الغنيم، ص ١٦٠، الناشر: الشركة العربية، ط: الأولى، ١٩٩٦ م.

[٢] شرح أحاديث من صحيح البخاري، ٥٤.

ويأتي التصوير في قولها ﵂ "ورتق لكم فتق النفاق"، ؛ إذ شبهت النفاق بالثوب، وحذفته، وذكرت شيئًا من لوازمه وهو الرتق والفتق على سبيل الاستعارة المكنية، والاستعارة تصور إلى أي مدى كانت هناك فجوة في الإسلام في تلك الفترة بسبب الردة التي حدثت في عهد أبي بكر ﵁، كما أن الاستعارة توحي بالتخبط الذي كان يعم المسلمين في ذاك الزمان، وتشعر كذلك بالمجهود الذي بذله أبو بكر ﵁ في إعادة الأمة إلى رشدها وترسيخ العقيدة السليمة في نفوسهم، وقد كان هذا الأمر بالغ الصعوبة؛ إذ لم يتم إلا بإشعال نيران الحرب، وبذل التضحيات،والتصوير قد جسد المعنى وساهم في إيصاله إلى فكر القارئ دون تعب منه أو عناء.

ويتضح التشبيه البليغ كذلك في قولها ﵂: " وأغاض نبع الردة" حيث شبهت الردة بالنبع في أن كلًا منهما يتسع شيئًا فشيئًا، وهذا التشبيه يوحي بأن فتنة الردة كانت في أولها ولم تتسع كثيرًا، فأبو بكر ﵁ قد لحقها في بدايتها قبل تفاقمها، وكلمة "أغاض"، تشعر بأن أبا بكر قد أنهى هذه الفتنة وقضى عليها من جذورها؛ لما يشعر به التعبير بالفعل الماضي من تحقق الوقوع.

وتكمن روعة التشبيه هنا في أنه: "يستمد قوته من الخيال، فكما أن الرسم والتصوير يعتمدان على الأصباغ والأحجار التي تؤلف وتصقل لترمز إلى طبيعة جميلة، أو فتنة ساحرة، أو عبقرية نادرة، نجد أن التشبيه يشاركهما في الإفصاح عن الفكرة، والتعبير عن العاطفة بما فيه من عنصر الخيال الذي يقابل تلك الأصباغ والأحجار"[1].

---

[1] البيان في ضوء أساليب القرآن، ص ١٠٦.

وقولها ﵂ "وأطفأ ما حش يهود"، كناية عن إطفاء أبي بكر ﵁ ما أوقدته اليهود من نيران الفتنة والحرب، وهذه الكناية توحي بأن اليهود لم يتوقفوا عن كيدهم للإسلام وتدبير الشر لأهله، كما تشعر بأن أبا بكر ﵁ لم يدخر وسعًا في محاربة كل أعداء الدين والنيل منهم مهما كلفه الأمر من تضحيات، ولهذهِ الكنايةِ مزيةٍ كبرَى حيثُ تجعلُ المعنَى ألطفُ وأفخمُ، يقولُ عبدُ القاهرِ: (إثباتُكَ الصفةَ للشيءِ تثبتُها لهُ إذَا لمْ تلْقِه إلَى السامعِ صريحًا وجئتَ إليهِ منْ جانبِ التعريضِ والكنايةِ والرمزِ والإشارةِ كانَ لهُ منَ الفضلِ والمزيةِ ومنَ الحُسْنِ والرونقِ مَا لا يقلُ قليلُهُ، ولا يجهلُ موضعَ الفضيلةِ فيهِ)(١).

وقد نكرت أم المؤمنين قولها: "يهود" فقد كان بإمكانها أن تقول حشت اليهود إلى أنها أتت بها نكرة؛ للإشعار بحقارة هؤلاء اليهود ووضاعتهم وخستهم المطلقة؛ إذ إنهم كانوا يبذلون قصارى جهدهم في إيقاع الحروب بين المسلمين وإشعال نار الفتن بينهم، فلا أحط ولا أحقر من هذا أبدًا.

ويلاحظ أن أم المؤمنين قد وصلت بين الجمل الست: "وطوقه أعباء الإمامة، ثم اضطرب حبل الدين بعده، فمسك أبي بطرفيه، ورتق لكم فتق النفاق، وأغاض نبع الردة، وأطفأ ما حش يهود" لما بينها من التوسط بين الكمالين لاتفاقها في الخبرية لفظًا ومعنىً، وتشترك الجمل في تصوير أثر أبي بكر ﵁ العظيم في الأمة وفضله الكبير على الإسلام والمسلمين في تلك الفترة، فالمسند إليه واحد في تلك الجمل وهو الضمير العائد إلى أبي بكر ﵁، فالمناسبة بينها قوية والرابط بينها شديد.

(١) دلائلُ الإعجازِ، ص ٢٠١.

وقد لعبت حروف العطف دورًا كبيرًا كما نرى في تصوير المعنى وإيصاله بشكل جيد في هذا النص ؛ إذ نرى حروف العطف تتبادل في رشاقة ودقة، فكل حرف من هذه الأحرف قد جاء ليؤدي معنًى معينًا في مكانه، فحرف العطف "ثُم" جاء في التعبير "ثم اضطرب"؛ وذلك لأن اضطراب الدين وظهور فتنة الردة لم يحدث فور تطويق أبي بكر ﵁ بأعباء الإمامة ولكن ظهرت بعد فطرة من توليته الخلافة، فالزمن الذي كان بين تطويق أبي بكر ﵁ بأعباء الإمامة وبين اضطراب الدين ليس بالقصير بل كان متراخيًا.

ولما ظهرت فتنة الردة أسرع أبو بكر ﵁ فور ظهورها فأحاط بالفتنة من كل جوانبها ولم يتباطأ فأخمدها؛ لذا استعملت أم المؤمنين ﵂ حرف العطف الفاء في قولها ﵂: "فمسك أبي بطرفيه".

لكنه لمَّا كان ﵁ محيطًا بالفتنة ويحاول سد صغارها في وقت واحد استعملت حرف العطف "الواو" في قولها ﵂: "ورتق لكم فتق النفاق- وأغاض نبع الردة"، فهذه بعض أسرار العطف بين جُمَل النص بتلك الحروف.

وقد أشعر التعبير بالفعل الماضي في الجمل السابقة بتمكن الأحداث ووقوعها وقوعًا حقيقيًا لا شك فيه ولا مراء، فقد كسر النفاق ﵁ ودمغه، وأذهب ما نبع من الردة وظهر، ولافى فورتها في أصلها، وأطفأ كل نيران الفتنة التي حاول إشعالها اليهود.

وقد كونت هذه الأفعال سلسلة مترابطة فيما بينها ترابطًا زمنيًا، عملت على تنظيم سلسلة الأحداث التي تكوّن منها النص، وذروة البلاغة أن يأتي الفعل معبّرًا عن الرابط الزمني من جهة، ومعبّرًا عن مناسبته للحدث من جهة أخرى، وقد ركّز (هاليداي Halliday)، (ورقية حسن) في بحثهما:

الاتساق في اللغة الإنجليزية (Consistency in the English language) على أهمية الروابط الزمنية بين الأحداث النصية في عملية البناء النصي، وهذه العلاقات هي علاقات توافقية توفرها الأفعال وبعض الألفاظ الدالّة على الزمن[1]، هذه الأفعال تقود جملًا لا يستطيع القارئ أن يقف دون تمامها؛ لأنها كوّنت مغزًى واحدًا، وتم الربط بينها بالواو أحيانًا وبالفاء أخرى، فصارت كاللبنات التي يبنى بعضها فوق بعض فتضامت وتلاصقت والتحمت، وتداخلت وتشابكت حتى صارت شيئًا واحدًا ولحمة واحدة وهذا أعلى درجات الإبداع، لأن الروابط في الكلام كالشرايين في الجسم تمده بالطاقة والحياة.

ويأتي التعريف بضمير الخطاب في قولها ﵂ "وأنتم يومئذ جحظ العيون"، لأن المقام مقام خطاب وإيضاح فكرة، وإثبات رؤية، فهي ﵂ تحاول طوال الوقت بيان سلامة موقفها وحسن نيتها، فتتحدث بشدة أحيانًا وبلين أحيانًا أخرى، وهي في كل هذا متوجهةً بالخطاب إلى قوم يتشككون فيها وفي حسن نواياها.

وتنكير "جحظٌ " يشعر بضعفهم آن ذاك وهوان أمرهم، ، ويصور الرعب والفزع الذي كان يملأ قلوبهم ، كما يوحي التنكير بعظمة الأمر وشدة هوله، فقد كانوا في جهدٍ وبلاء، إذ برزت عيونهم، وهم ينظرون الوثبة عليهم، ويسمعون للتصايح إليهم وقد أُسْقِط في يدهم.

وفصلت قولها ﵂: "تنظرون العدوى" عن قولها: "وأنتم يومئذ جحظ العيون"، لأن الجملة الأولى أثارت استفهامًا، وكأن المخاطبين يسألون

---

[1]See: Halliday & Hasan: Cohesion in English, P.250 & Crombie, Winifred: process and Relation, P18.

سؤالًا تقديره: (لماذا كُنَّ جحظ العيون وماذا كُنَّ ننظر؟) فقيل: " تنظرون العدوى"، فالفصل لشبه كمال الاتصال، وقد حقق الفصل الإيجاز والاختصار، وقد أكد الفصلُ المعنى السابقَ وهو شعور السيدة عائشة ﵂ بالضيق الشديد من مخاطبيها؛ إذ تريد أن تنهي معهم الحوار بأقصى سرعة، فقد كانت تحاول دومًا أن تستخدم الوسائل لذلك .

ووصل بين جملة "تنظرون العدوى – تستمعون الصيحة" لما بينهما من التوسط بين الكمالين لاتفاقهما في الخبرية لفظًا ومعنى، كما أن كل منهما تساعد في تصوير موقف المسلمين وشدتهم وقت حروب الردة، فكلا الجملتين تعاونا في إظهار هذا الموقف العصيب .

وأما التعبير بالفعل المضارع في قولها ﵂: "تنظرون– تسمعون"، فلاستحضار صورتهم وهم على مثل هذه الحالة؛ إذ ينظرون في عجب ودهشة إلى وثبات الخيول عليهم "واستحضار صورتهم وهم يسمعون إلى غارات الحروب وصليل السيوف، وهي صورة تذكرهم بحالهم وضعفهم في تلك الأيام.

والفاء في قولها ﵂" فَرَأَبَ الثَّأْي "تشعر بأنَّ أبا بكر ﵁ لم يتوانى في إصلاح فساد قد حدث بعد توليه أمر المسلمين، فما رأى فسادًا إلَّا وقضى عليه فورًا، فهو ﵁ لم يصبر على فساد أو ينتظر بل كان يأتي على الفساد عقب حدوثه ومن فوره فيجتثه من أصوله، والتعبير عن هذا بالفعل الماضي يؤكد ذلك المعنى ويشعر بتحقق الوقوع.

ويُحتمل أن تكون "أل" في قولها ﵂ " الثَّأْي "جنسية، ويوحي وجودها بأن أبا بكر ﵁ قد قضى على الفساد الذي حدث في عهده من أصوله وأعماقه، ويُحتمل أن تكون "أل" للعهد، ويشعر وجودها في هذه

الحالة بأنه ﷺ قد قضى على الفساد المعهود بتصديع الأفكار، وتفريق الشمل ، وضياع الأصول.

ويأتي التصوير في قولها ﷺ "وأوَّد من الغلظة" حيث كَنَّت بهذا القول عن أثر أفعال أبي بكر ﷺ الطيبة في النفوس وتأثيره القوي على القلوب المتحجرة والعقول الضالة، وهذه الكناية توحي بقدرة أبيها ﷺ على تذليل كل الصعاب، وترويض أعداء الدين، مما يشعر بلباقة أبي بكر ﷺ و شدة ذكائه الاجتماعي، كما توضح الكناية أسلوب أبي بكر ﷺ الطيب السهل الذي يجعل كل شيءٍ صعبٍ هيناً لّيناً.

وتلاحظ الكناية كذلك في قولها ﷺ "وامتاح من الهوة" حيث كَنَّت بهذا القول عن فضل أبيها ﷺ في إنقاذ كثير من المسلمين كادوا يتركون دينهم ويَسقُطُون في هاوية ومهالك العقائد الفاسدة، وهذه الكناية توضح مجهود أبي بكر ﷺ الكبير في إخماد فتنة الردة، كما تشعر بتحمل أبيها لما لا يستطيع تحمله غيره، فقد عالج أبو بكر ﷺ أكبر مشكلة كادت أن تعصف بالإسلام والمسلمين، وقد كان ﷺ يمتلك أسلوبًا جيدًا في مواجهة المشكلات وحلها.

و" أل " في قولها ﷺ "الهوة" للعهد، فأم المؤمنين ﷺ تقصد الهوة أو البئر المعهودة بالعمق وعدم التمكن من الوصول إلى آخرها، فهي ﷺ تشير إلى صبر أبيها وتحمله، فقد كان ﷺ يتتبع الشيءَ ويتعهده من أوله إلى آخره بالإصلاح ولم ييأس من معالجته.

ويلاحظ حذف المسند إليه والمفعول من الجملتين: " وأوَّد من الغلظة، وامتاح من الهوة" والتقدير: (أوَّد أبي كثيرًا من الغلظة، وامتاح أبي كثيرًا من الهوة)،، والسر في حذف المسند إليه هو الإيجاز والاختصار،فهي

رضي الله عنها في قمة الضيق منهم، وتريد الانتهاء من الحوار معهم، فتحذف ما تستطيعه من كلمات.

وأما حذفها للمفعولين فيلفت القارئ لفتًا قويًا إلى إثبات الفعل للفاعل، بحيث تتجه الأذهان إليه، وتنحصر الأفكار فيه، فإثبات (التأود والامتحاء) لأبيها مقصود لذاته، والفعل المتعدي هنا نُزِّل منزلة اللازم، فالغرض هنا إثبات الفعل للفاعلِ، وبيان حال الفاعل لا المفعول [1].

ووصلت أم المؤمنين بين الجمل الثلاث هذه: "فرأب الثأي وأود من الغلظة، وامتاح من الهوة" لما بينها من التوسط بين الكمالين لاتفاقها في الخبرية لفظًا ومعنًى، وتشترك الجمل كذلك في أن كلًا منها صور عمل عظيم من أعمال أبي بكر رضي الله عنه في خلافته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالفاعل لكل هذه الأشياء واحد، والمناسبة بين هذه الجمل قوية والرابط بينها شديد.

وقد جاءت الأفعال التي ارتكزت عليها تلك الجمل بصيغة الماضي؛ للإشعار بتحقق هذه الأشياء ووقوعها وقوعًا حقيقيًا لا مراء فيه، وليس هذا فحسب بل كانت هذه الأحداث معروفة لكل مسلم في تلك الفترة، وقد تمكَنَّت في النفوس، وشهدها الجميع.

ثم جاءت أم المؤمنين رضي الله عنها بتشبيه ضمني يحتاج إلى إعمال فكر وروية في استخراج الصورة المرادة، وذلك في قولها رضي الله عنها: "حتى اجتحى دفين الداء" حيث شبهت إحكام أبيها رضي الله عنها أمر الردة بعد انتشارها برجلٍ أَتى على آبار مندفنة، وقد اندفن ماؤُها، فنَزحها وكسحها، وأَخرج ما فيها من الدفن حتَّى نبع الماء، وهذا التشبيه يشعر بشدة إجهاد أبي بكر رضي الله عنه

---

[1] دلائل الإعجاز، ص ١٦١.

ويصور مدى إخلاصه؛ فقد تكلف من الأمر ما لا يطيقه بشر، وتحمل من العناء ما لم يتحمله أحد، ولم يؤل جهدًا في جلب الخير لرعيته، وقد عاون على الإشعار بالمعنى السابق وجود "حتى" في التعبير، فوجودها يوحي بمحاولات أبي بكر ﷺ الدؤوبة المتكررة في إصلاح ما فسد، وإنقاذ من وقع في هوّة الردة، وجلب الخير لمن يحكمهم.

ومِزيةُ التشبيهِ هنَا أنها استمدَت عناصرَه منَ الطبيعةِ، ومنَ الخيالِ الحيِّ الخصبِ لتقريرِ ذلكَ في نفوسِ المتلقينَ، يقولُ العلويُّ: (اعلمْ أنكَ إذَا أردتَ تشبيهَ الشيءِ بغيرِهِ، فإنمَا تقصدُ بهِ تقريرَ المشبهِ في النفسِ بصورةِ المشبهِ بهِ، أوْ معناهُ فيستفادُ منْ ذلكَ البلاغةُ فيمَا قصدَ بهِ منْ التشبيهِ علَى جميعِ وجوهِه، منْ مدحٍ، أو ذمٍ، أو ترغيبٍ، أو ترهيب، أو غيرِ ذلكَ منَ الوجوهِ التِي يُقصدُ بهَا التشبيهُ، وتُرادُ للإيجازِ أيضًا، والاختصارِ في اللفظِ منْ تعديدِ الأوصافِ الشبيهةِ، وتُرادُ للبيانِ والإيضاحِ أيضًا...

وكلمَا كانَ الإغراقُ في التشبيهِ والإبعادِ فيهِ وكونِه متعذرَ الوقوعِ والحصولِ كانَ أدخلُ في البلاغةِ وأوقعُ فيهَا)[(١)].

وتتوالى الكنايات في النص، ففي قولها ﷺ "أعطن الوارد"، كناية عن اجتماع المسلمين لديه، والتفافهم حوله، وحبسه إياهم على العقيدة السليمة حتى فهموا الأسس الصحيحة والمبادئ العميقة للإسلام، ومنعهم من الانحراف الديني، وهذه الكناية تشعر بالمجهود الذي بذله أبو بكر ﷺ حتى تمكَّنت العقيدة السليمة من قلوبهم واليقين من صدورهم، وثباتهم على الدين الحق.

---

(١)الطرازُ، يحيى بنُ حمزةِ العلويِّ، ج ١،ص٢٧٣- ٢٧٤، الناشر: المعارفُ الرياض، ١٩٨٠مـــ.

وفي قولها ﵂"وأورد الصادر" كناية عن الاهتمام الشديد من أبي بكر ﵁ برعيته والمسلمين في تلك الفترة، فكلما كان يغرث المبادئ الصحيحة للإسلام في نفس أحد رجع وأكد عليه ذلك؛ حتى يثبت على موقفه، وهذا التصوير يوحي برغبة أبي بكر ﵁ في تمكن العقيدة الصحيحة في نفوس المسلمين آن ذاك.

وتأتي كناية أخرى في قولها: "وعلَّ الناهل" حيث كَنَّت بهذا القول عن نصح أبي بكر ﵁ المتكرر وإرشاده المتوالي وعدم اكتفائه بتوجيههم مرة أو مرتين، فقد كان مُسخِرًا وقته وجهده لكل من يحتاج إلى ذلك دون أن يطلب، وهذه الكناية تصور قلق أبي بكر ﵁ الشديد على رعيته وخوفه عليهم من السقوط في الهاوية، والانزلاق في مهالك الشِّرْك.

وقد تآزرت الألوان البديعية مع الكنايات السابقة في تصوير المعنى المراد وإخراجه في صورة بديعة رائعة، ومن تلك الألوان: جناس الاشتقاق بين "وارد ، أورد"، وقد أحدث هذا الجناس موسيقى رقيقةً عذبةً تُطرب الأذن وتهز الوجدان، وهذا النوع من الجناس (مستحسن ومجاد لأنه صدر عن طبع وجاء عفوًا وقاد إليه المعنى فأثر في النفوس تأثير السحر ولعب بالأفهام لعب الريح بالهشيم، لما أحدثه من النغمة المؤثرة، والموسيقى القوية التي طربت لها الأذن وهشت لها النفس، فأقبلت على السماع من غير أن يداخلها ملل أو يخالطها فتور، فتمكن المعنى في الأذهان، واستقر في الأفكار، وعز لدى العقول) [1].

---

[1] الصبغ البديعي، د. أحمد إبراهيم موسى، ص ٤٩٧، الناشر: دار الكاتب العربي – القاهرة، ١٣٨٨ه –١٩٦٩م.

والطباق بين قولها ﵂ "وارد"، وقولها: "الصادر" الذي أبرز المعنى وأكده وهو: اهتمام أبي بكر ﵁ بكل أطياف المجتمع الإسلامي: العالِم منهم والجاهل، والذي يحتاج منهم إلى نصح والذي لا يحتاج، كما وضح الطباق الفرق الشديد بين العالِم والجاهل، فالعالم لا يحتاج مجهود في النصح والإرشاد مثل الجاهل، أما الجاهل فيحتاج إلى نصح أكثر وإرشاد متكرر.

وقد وصلت أم المؤمنين بين الجمل الثلاث: " أعطن الوارد، أورد الصادر، علَّ الناهل" لما بينها من التوسط بين الكمالين لاتفاقها في الخبرية لفظا ومعنى، كما أنها تشترك في تأكيد فضل أبي بكر ﵁، فالمناسبة بينها قوية.

والفاء في قولها ﵂ "فقبضه الله" توحي بأن أبا بكر ﵁ قد توفي عقب استقرار أمور المسلمين وتوحيد معتقدهم، كما تشعر بأن أبا بكر لم يكل ولم يمل من الاهتمام بشؤون رعيته، فما لبث أن استقرت الأمور وهدأت الأحوال إلا وقد وافته المنية.

ولفظ الجلالة "الله" تدخل الروع والقلق في نفوس العصاة والمنافقين، وتدخل الإيناس والطمأنينة والسكينة في قلوب المؤمنين الطائعين.

ثم كَنَّت بقولها ﵂ "واطئًا على هامات النفاق" عن مواجهة النفاق والمنافقين وإذلالهم وكسر شوكتهم وحصول الغلبة له عليهم، والكناية تشعر بتمكن أبيها ﵂ من الأمر وإحكام سيطرته، كما توحي بجرأته وشجاعته ﵁؛ إذ تخطى الصعاب وتجشم المخاطر وركب كل عظيم من أجل إصلاح حال الأمة، والمحافظة على الإسلام، وحمايته من كل من أراد به السوء.

وآزر المعنى السابق تنكير كلمة: "واطئًا" الذي يوحي بعظمة أبيها ﵁ وقوته وتميزه.

وتتعانق الاستعارة المكنية مع الكناية السابقة في قولها ﵂: "هامات النفاق" فقد شبهت النفاق بإنسان وحذفته وذكرت شيء من لوازمه (الهامة) على سبيل الاستعارة المكنية، وهذا التصوير يشعر بأن أباها قد أتى على النفاق وأنهاه من جذوره وأنه قد تحطم على يده متزعمي هذا الفكر ورؤوسه، وبالتالي فقد تحطم وانهزم صغارهم وتابعيهم، مما يوحي بقوته وشدة بأسه.

وآثرت أم المؤمنين ﵂ التعبير بالاستعارة هنا بدلًا من التشبيه (وذلك لما يتحقق في الاستعارة من تفاعل وتداخل في الدلالة على نحو لا يحدث بنفس الثراء في التشبيه، ولما يظهر من قدرة الاستعارة على إدخال عدد كبير من العناصر المتنوعة داخل نسيج التجربة) [1].

وقد نكرت "مُذْكيًا" لتوحي بأن أباها ﵁ قد بذل الكثير من ماله وجهده في سبيل إعلاء كلمة الله ومحاربة المشركين من أجل الدين، وأنه هو وراء كل حروب الردة ولا مذكيَّ لها غيره.

ويلاحظ تعبيرها باسم الفاعل ولم تعبر بالفعل الماضي أو المضارع مثلًا؛ وذلك لأنه ﵁ تفاعل مع هذا الأمر بشكل قوي (إذكاء الحرب للمشركين)، وأصبح هذا الأمر من الأمور التي عرف بها أبو بكر ﵁ واشتهر بها، وأنه كان ثابتًا في موقفه ضد المشركين والمرتدين.

---

[1] الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، د. جابر عصفور، ص ٢٤٧، الناشر: المركز الثقافي العربي – بيروت،١٩٩٢م.

ثم أضافت النار إلى الحرب في قولها ﵂ "نار الحرب"؛ وذلك للإشعار بشدة هذه الحرب وقسوتها، وأنها كانت ضارية بحيث لا تبقي ولا تزر.

وقولها ﵁ "للمشركين " بمثابة الاحتراس من أن يفهم أحد أن الحرب هذه كانت مع أي مسلم، وأنها لم تكن إلا مع المشركين المرتدين.

وقولها: "فانتظمت طاعتكم بحبله " كناية عن استقرار الأمور لأبيها وهدوء الحال، وهذه الكناية توحي بإحكامه الأمر وسيطرته التامة على الرعية وضبطهم آن ذاك.

وحرف العطف الفاء في قولها: "فانتظمت" يوحي بأن الأمور قد استقرت بعد مرور وقت قصير من تولية أبي بكر ﵁ الخلافة، مما يوحي بأن المجهود الذي بذله أبو بكر ﵁ كان مجهودًا عظيمًا كبيرًا.

وقد استقرت الأمور بالفعل وهدأت؛ لذا عبرت أم المؤمنين بالفعل الماضي؛ لم في التعبير به من الإشعار بتحقق الوقوع بشكل حتمي ومؤكد.

وفي الإضافة في قولها ﵂ "طاعتكم" ما يذكرهم بماضيهم المشرق المليء بتقوى الله ﷻ وطاعته ورسوله صلى الله عليه وسلم وولي الأمر، وتبكيت لهم على ما هم فيه اليوم من عدم مبالاة بولي الأمر ودمه، وكأنهم لم يفعلوا شيئًا من قتل وسفك.

ويتآزر تصوير آخر مع الكناية السابقة في قولها ﵂ "حبله"، حيث استعارت الحبل لحكم أبيها ﵂ القوي، وقد أشعر التصوير بأن حكم أبيها ﵂ كان شديدَ الإحكامِ والسيطرةِ، وأنه ﵁ كان يحيطهم برعايته ويشملهم بعنايته، وأن حكمه ﵁ ووجوده في تلك الفترة كان بمثابة طوق النجاة.

وأما الإضافة في قولها ﵂ "بحبله" فتشعر بتخصيص أبي بكر ﵁ بهذا الأمر، فقد كان المسلمون في تلك الفترة تحت قيادته هو لا قيادة غيره، كما توحي هذه الإضافة بحسم أبي بكر ﵁ وشدته، وأن قيادته كانت قيادة رشيدةً في ذاك الزمان.

المبحث الثالث

من دقائق تعبير أم المؤمنين ﵂ في حديثها عن عمر بن الخطاب ﵁ وصفاته العظيمة في الخطبة

النص:

" فولَّى أمركُم رجلًا مرعيًا إذا رُكِنَ إليه، بعيدًا ما بينَ اللابتينِ [١] إذا ضَلَّ، عركةً [٢] للأذاةِ بجنبِه صفوحًا عن أذاةِ الجاهلينَ، يقظانَ الليلِ في نصرةِ الإسلامِ؛ فسلكَ مسلكَ السابِقيه؛ ففرقَ شملَ الفتنةِ، وجمّعَ أعضادَها ما جمّعَ القرآنَ. [٣].

التحليل:

بدأت أم المؤمنين ﵂ حديثها عن عمر بن الخطاب ﵁ بالفعل الماضي وهي تخبر عن تولية أبيها الخلافة له فقالت: ﵂ "فولى أمركم"، والفاء تشعر بأن أبا بكر ﵁ قد رشح عمر بن الخطاب ﵁ للخلافة من بعده عقب استقرار الأمور، فقد اطمأن على المسلمين أولًا وبعدها على الفور ولى عليهم من يصلح من وجهة نظره، وقد تولى عمر بن الخطاب ﵁ أمر المسلمين من بعد وفاة أبي بكر ﵁ مباشرةً، فلم ينازعه أحد في هذا الأمر.

وقد أضافت أم المؤمنين ﵂ أمر إلى ضمير المخاطبين في قولها: "أمركم" لإشعارهم بالاختصاص، وكأنها ﵂ تذكرهم بأن أباها ومن بعده

---

[١] اللابتان: حرتا الْمَدِينَة وَإِنَّمَا قصدت التَّمْثِيل بذلك لسعة عَظمته وفسحة صَدره، الفائق، جـ ٢، ص ١٦٢.

[٢] عركة: من قَوْلهم فلَان يعرك الْأَذَى بجنبه أَي يحْتَملهُ، الفائق، جـ ٢، ص ١٦٢.

[٣] العقد الفريد، ج ٤، ص ٢١٦.

من الخلفاء ﷺ قد تحملوا المشاق من أجلهم هم لا من أجل غيرهم، فكان من الواجب عليهم أن يحافظوا على هذه النعمة، علها بهذه الطريقة تسترق قلوبهم وتستدر عاطفتهم، فقد أرادت أن يسمعوها بقلوبهم قبل آذانهم.

وتنكير: "رجلًا" يوحي بعظمة هذا الرجل وقوته، وأنه بلغ من العظمة مبلغًا عظيمًا بحيث يمكن توليته أمر المسلمين، وإدارة شؤونهم .

وأما تنكير: "مرعيًا" فيوحي بسرعة استجابة عمر بن الخطاب ﷺ لمن يطلبه في أي أمر، وإغاثته للملهوف، فإنَّه لا يتوانى ولا يتباطأ إذا طُلِبَ أو استُعِينَ به.

ويلاحظ أن أم المؤمنين ﷺ قد استعملت "إذا" بدلًا من (إن) في تعبيرها:

"مُذْعِنًا إذا رُكِنَ إليه" وذلك للإشعار بتحقق هذا الأمر، فكثير من الرعية قد لجأوا إلى عمر بن الخطاب ﷺ في شدائدهم ومصائبهم، كما يوحي هذا الاستعمال بتحقق صفة الشهامة وغيرها من الشيم العربية الأصيلة في عمر بن الخطاب ﷺ فهو على قدر عالٍ من الشهامة والنجدة وإغاثة الملهوف، ويؤكد هذا المعنى التعبير بالفعل الماضي المقترن به إذا، فقد أفاد تحقق الحدث وأنه أمر مقطوع به لا مرية فيه ولا شك.

وفي إيثارها ﷺ للفعل المبني للمجهول "رُكِنَ" إيجاز واختصار، فالذين ركنوا إلى عمر بن الخطاب ﷺ كثيرون كثرة يضيق المقام عن ذكرهم، ولما لا وهو خليفة المسلمين، والمسؤول عن شؤونهم، والمكلف بأمورهم جميعًا.

ويتضح التصوير في قولها ﵂ "بعيد ما بين اللاَّبتين"، حيث شبهت عمر بن الخطاب بالمدينة التي تكتنف حرتان بينهما المسافات الطويلة والمساحات الواسعة، ثم حذفت المشبه به وذكرت شيئًا من لوازمه وهو: اللابتين على سبيل الاستعارة المكنية، وهذه الاستعارة تشعر بسعة صدره ﵁ ورحابته، وأنه كثير الحلم جَلِدٌ قوي النفس، وفي هذا التصوير قد أخرجت أم المؤمنين ﵂ عمر بن الخطاب ﵁ عن طبيعته البشرية وجعلت السامع يتخيله وكأنه مدينة واسعة فسيحة تستوعب كل من فيها؛ وذلك لأن الاستعارة "في حقيقتها نوع من الإدراك للأشياء تتحول فيه عن طبائعها المألوفة، وتأخذ صورًا جديدة وحقائق جديدة" (١).

ويؤكد هذا المعنى تنكير "بعيد" والمجئ به على صيغة الصفة المشبهة الذي يوحي بعِظَم السعة وفسحة الصدر وقوة الاحتمال.

فللتصوير الاستعاري قيمة كبيرة ومقدرة عظيمة في الإفصاح عن مكنون العواطف، والإبانة عن عمق الأحاسيس والمشاعر بشكل لا يستطيع التعبير العادي بلوغه، أو الوصول لغايته وهدفه، إنه يمكِّن المتلقي من الغوص داخل أعماق المبدع، وإخراج صدفات حواسه، ولآلئ مشاعره وخواطره.

وتنكير عُرَكَةً في قولها ﵂:" عُرَكَةً "للأذاة بجنبه"، تأكيد فوق تأكيد للمعنى السابق من شدة صبر عمر بن الخطاب ﵁ على الأذى من الآخرين وقوة تحمله للملمات والشدائد، كما يوحي هذا التنكير برجاحة عقله ورزانته.

---

(١)التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، أد.محمد محمد أبو موسى،ص ١٨٢،الناشر: مكتبة وهبة،١٩٨٠م.

ويشعر التعبير بالجمع "للأذاة" بكثرة الإيذاء الذي تعرض له عمر بن الخطاب ﷺ ، وكثرة المتسببين في إيذائه في تلك الفترة، وأنه كان يمتلك طاقة كبيرة يتحمل بها الصعاب ، ولما لا؟ وهو الصبور كثير الحلم العادل التقي القوي.

ولأن عمر بن الخطاب ﷺ كان كثير الصفح والعفو شديد التسامح عبرت أم المؤمنين ﷺ بصيغة المبالغة (فعول) في قولها ﷺ: "صفوحًا عن أذاة الجاهلين" فقد بلغ عمر ﷺ في ما نعلم من العفو والصفح مبلغًا كبيرًا بحيث لا يقَادَر قدره ولا يدرَك كنهه.

وإضافتها ﷺ كلمة "أذاة" إلى "الجاهلين"، توحي بالاختصاص، فالإيذاء الذي تقصده السيدة عائشة ﷺ والذي كان يتحمله عمر ﷺ هو الإيذاء غير المتعمد: إيذاء يقوم به شخص جاهل لا يقصد ما يفعله، أما الإيذاء المتعمد المقصود فقد كان ﷺ لا يترك صاحبه أو يتهاون معه أبدًا؛ مما يشعر بشدة حلم عمر ﷺ وطول نفَسه، وفي الوقت نفسه يوحي بقوة بأسه وشدته مع الذين يؤذونه عن قصد وتعمد، فهو لا يتساهل معهم؛ إذ هو شديد في ذات الله لا يخاف لومة لائم.

وأم المؤمنين ﷺ بقولها السابق: "صفوحًا عن أذاة الجاهلين"، قد حققت الإطناب البليغ عن طريق ذكر الخاص بعد العام، فقد ذكرت العام أولًا في قولها: "عركة للأذاة بجنبه"، ثم خصصت ذلك بالصفح عن غير القاصدين لإيذائه وضرره، وفي هذا الإطناب تهديد لمتعمدي الإيذاء والقاصدين له، بالرد القوي من عمر بن الخطاب ﷺ، فشخصيته وكرامته تأبى أن يؤذيه أحد عن قصد ولا يأخذ منه موقفًا.

وتلجأ أم المؤمنين ﵂ للتصوير الكنائي في قولها: "يقظان الليَّل في نصرة الإسلام"؛ إذ كَنَّت بهذا القول عن تعب عمر وإجهاده الشديد لنفسه من أجل الإسلام والمسلمين.

ويؤكد هذا المعنى تنكير "يقظان" الذي يوحي بقلة راحة عمر بن الخطاب ﵁، وقد أسهم في تأكيد المعنى كذلك تعبيرها بالصفة المشبهة "يقظان"، التي تشعر بتكرار الأمر(الإجهاد والتعب)وكثرته.

وعاون على الإحساس بالمعنى السابق إضافتها ﵂ يقظان إلى الليل حيث تصور هذه الإضافة المجهود الشاق الذي كان يبذله عمر بن الخطاب ﵁ وتوضح إلى أي مدى كان كثير التضحيات من أجل الإسلام، فقد كان يضحي براحته ومتعته، ففي الوقت الذي كان الناس يرتاحون فيه ويستمتعون كان هو ﵁ يقظًا يفكر في حالهم ليدبر أحوالهم ويرعى شؤونهم.

والإضافة في قولها: "نصرة الإسلام" توحي بسمو الغاية وشرف الهدف؛ فقد كانت النصرة للإسلام ومن أجله، وهو شرف لا يدانيه شرف.

وقولها ﵂" فسلك مسلك السابقيه: " كناية عن اتباعه ﵁ من سبقاه وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبيها ﵁ في كل شيء: في المنهج والتطبيق، وهذا التصوير يكشف عن احترام وتقدير عمر بن الخطاب ﵁ لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ﵁ واحترام منهجهما، ويبرز خوفه وقلقه الشديد من عدم القدرة على السير على طريقهما، وكيف يحيد وهو الصحابي الجليل قوي الإيمان شديد الالتزام بما ورد في الكتاب والسنة!.

ويلاحظ مجيء الفعل الماضي مقترنًا بالفاء في قولها ﵂ "فسلك"، وذلك للإشعار بأن عمر بن الخطاب ﵁ بعد وفاة أبي بكر ﵁ لم

يأخذ وقت في التفكير في الطريقة التي يتبعها في التعامل بها مع البلاد والعباد بل أنه لم يفكر أصلًا، فقد سلك مسلك النبي صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر من بعده.

وقد أضافت أم المؤمنين ﵂ المسلك إلى السابقيه للإشعار بشرف هذا المسلك وعظمته، وأنه هو الطريق الصحيح الذي يجب أن يتبعه كل مسلم ولا يحيد عنه أبدًا.

ومما أضفى على الأسلوب رونقًا وبهاءً، وزاد الصورة عمقًا وإيحاءً جناس الاشتقاق بين: "سلك، مسلك"، وهذا الجناس قد أضفى على الكلام موسيقى عذبة مؤثرة، وقد أشاد به الإمام عبد القاهر الجرجاني قائلًا: (كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها)[١].

وهذا يعني أن الوظيفة الموسيقية التي يؤديها الجناس تحمل في طياتها بعدًا دلاليًا من قيمتها الفنية، هذه القيمة قد أدركتها وأشادت بها الدراسة النقدية الحديثة، فالدكتور علي عباس علوان لا يعد الجناس حلية وزخرفًا، بل يعده مركزًا موسيقيًا يقابله في البيت مركز موسيقي آخر فيضيفان عليه تنغيمًا داخليًا خاصًا[٢].

وفي قولها ﵂ السابق:"فسلك مسلك السابقيه"، إجمال قد فصلته بالجمل التالية: "ففرق شمل الفتنة، وجمع أعضاد ما جمع القرآن"، وطبيعة النفس أنها إذا أدركت الشيء مجملًا تاقت إلى معرفته مفصلًا، وحينئذ

---

[١] دلائل الإعجاز، ص ٥٢٤.

[٢] يراجع تطور الشعر العربي الحديث في العراق اتجاهات الرؤيا وجمالات النص، د. علي عباس علوان، ص ٣١٠، الناشر: دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام ببغداد، بدون تاريخ.

يتمكن الغرض منها، وقد نبّه الإمام عبد القاهر إلى: أن (ليس إعلامك الشيء بغتة غفلًا مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له، لأن ذلك يجرى مجرى تكرير الأعلام في التأكيد والإحكام، ومن ها هنا قالوا: إن الشيء إذا أضمر ثم فسر كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير تقدم إضمار) [١].

ويلاحظ التصوير كذلك لكن هذه المرة عن طريق الاستعارة في قولها رضي الله عنها: " شمل الفتنة" حيث شبهت الفتنة بقوم مجتمعين متكاتفين لاتفاق على خطة وتنفيذها، وحذفت القوم وذكرت شيء من لوازمه، (الشمل والاجتماع) على سبيل الاستعارة المكنية، وهذه الاستعارة توضح إلى أي مدى كانت هذه الفتنة خطيرة مؤذية، كما تشعر بشدة هذه الفتنة وقوة إحكامها، وأنها كان من الصعب إخمادها وهدمها، مما يوحي بشدة بأس عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقوته ؛ إذ إنه استطاع أن يخمد تلك الفتنة العظيمة المحكمة.

ويؤكد هذا المعنى: الإضافة في قولها رضي الله عنها "شمل الفتنة" توضح إلى أي مدى كانت هذه الفتنة محكمة كبيرة، وأنها ضارية خطيرة وكادت أن تودي وتفتك بالإسلام والمسلمين.

ويتعانق تصوير آخر مع التصوير السابق في قولها رضي الله عنها:" وجمّع أعضادها ما جمّع القرآن"، حيث استعارت رضي الله عنها للفتنة جسد له أعضاد وحذفته وذكرت شيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية، وهذه الاستعارة تصور الفتنة وكأنها لها أذرع شديدة قوية في كل مكان ، أذرع تلعب في الخفاء لتودي بالإسلام والمسلمين ، كما أن التصوير يوحي بأن

---

[١] دلائل الإعجاز ١٣٢

الحافز وراء جمع القرآن، كان هو الحافز وراء إخماد تلك الفتنة وإنهائها، وهو المحافظة على الإسلام ومبادئه الصحيحة، وتقويته في نفوس المسلمين، كما أن استكمال جمع القرآن في عهد عمر بن الخطاب ﷺ كان سببًا في إخماد الفتنة، فالسيدة عائشة ﷺ بذلك تشير إلى دور عمر بن الخطب ﷺ العظيم في هذا العمل، فقد كان له الدور الأكبر في هذا الأمر؛ إذ إنه الذي أشار على أبي بكر ﷺ بجمع القرآن وقد رفض أبو بكر ﷺ هذا في أول الأمر ثم أدرك أهميته فوافق.

ووصلت ﷺ بين الجملتين: "فرق شمل الفتنة، وجمع أعضادها ما جمع القرآن" لاتفاقهما في الخبرية لفظًا ومعنًى، والجملتان اشتركتا في تصوير ما فعله عمر بن الخطاب ﷺ وبيان بعض من أفضاله على المسلمين.

المبحث الرابع

من دقائق تعبير أم المؤمنين رضي الله عنها في ختام الخطبة ومطالبتها بدم عثمان رضي الله عنه

النص:

" وأنا نصبُ المسألةِ عن مسيرِي هذا؛ لم ألتمسْ إثمًا، ولم أورثْ فتنةً أُوطِئكُموها " (١)

" وَإِنِّي أَقبلْتُ أطلبُ بِدَمِ الإِمَامِ المركوبةِ مِنْهُ الْفِقَرُ (٢)الْأَرْبَعُ فَمنْ ردنا عَنهُ بِحَقٍ قَبِلْناه وَمنْ رَدَّنَا عَنْهُ بباطلٍ قَاتَلْنَاهُ فَرُبمَا ظهرَ الظَّالِمُ على الْمَظْلُومِ وَالْعَاقبَةُ لِلْمُتقينَ " (٣).

" أقولُ قولي هذا صدقًا وعدلًا، وإعذارًا وإنذارًا؛ وأسألُ اللهَ أن يُصلِّي على محمدٍ، وأنْ يَخْلُفَهُ فيكم بأفضلِ خلافةَ المرسلينَ " (٤).

التحليل:

والتعبير بضمير التكلم في قولها رضي الله عنها:"وأنا نصب المسألة"، يوحي بثقتها الشديدة بنفسها، واعتزازها القوي بذاتها، فهي رضي الله عنها مستعدة لأي

---

(١) العقد الفريد،جـ ٤، ص ٢١٦

(٢) الْفقر: جمع فقرة (بِالضَّمِّ)، قَالَ ابْن الْأَعرَابِي: الْبَعِير يقرم أَنفه وَتلك القرمة يُقَال لَهَا الْفَقْرَة فَإِن لم يلن قرم أُخْرَى ثمَّ أُخْرَى إِلَى أَن يلين فَضربت ذَلِك مثلًا لما ارْتكب فِي عُثْمَان من النكايات بهتك الحُرم الْأَرْبَع وَهِي حُرْمَة صُحْبَة الرَّسُول، وصهره، وَحُرْمَة الشَّهْر، وَحُرْمَة الْخلَافَة، وَكَانَ قَتله فِي الشَّهْر الْحَرَام يَوْم الْأَضْحَى، الفائق، جـ ٢، ص ١٦٢.

(٣) الفائق، جـ ٢، ص ١٦١.

(٤) العقد الفريد،جـ ٤، ص ٢١٦.

سؤال في هذا الشأن، ولا تخشى أي ظن أو تهمة، ولا تخاف في الله لومة لائم.

وإضافتها " نصب" إلى " المسألة"، توحي بتهيؤها واستعدادها التام للمواجهة، كما تشعر بحزنها الشديد لوقوفها أمام أبنائها موقف التهمة والمساءلة، ولا شك في صعوبة هذا الأمر على النفس.

وأما الإضافة في قولها ﵂ مسيري " فتوحي بالاختصاص، فهو مسيرها هي لا مسير غيرها، وهي ﵂ المسؤولة عنه، وهي التي تعلم أسباب مسيرها هذا والهدف من ورائه، وهو هدف نبيل لا تبتغي منه إلى الأخذ بحق الخليفة المقتول ظلما وافتراءً.

وقد استخدمت ﵂ اسم الإشارة "هذا" لتشير إلى شرف هذا المسير ونبله وعظمته، فهو مسير من أجل المطالبة بدم مظلوم وأخذ حقه الضائع.

وفصلت جملة " لم ألتمس إثمًا" عما قبلها؛ لأنها بمنزلة الجواب على سؤال أثارته الجملة السابقة عليها، "وأنا نصب المسألة عن مسيري هذا" والتقدير: (هل التمستي إثمًا في هذا المسير؟ فقيل: لم ألتمس إثمًا"، فالفصل لشبه كمال الاتصال.

وأما وصلها بين الجملتين: " لم ألتمس إثمًا، لم أورث فتنة" لما بينهما من التوسط بين الكمالين لاتفاقهما في الخبرية لفظا ومعنى، فالجملتان كلاهما اتفقتا في أن كلًا منهما توضح براءة ذمتها ونبل هدفها وشرف مقصدها.

وقد أشعر تنكيرها ﵂ لكلمتي: " إثمًا، فتنة" بالعموم، فهي ﵂ لم تطلب إثمًا صغيرًا كان أو كبيرًا ولم ترد حدوث فتنة لا قليلة ولا عظيمة، كما يوحي تنكير فتنة بخطر هذه الفتنة وهولها وأثرها السيء على المسلمين.

وآثرت ﵂ التعبير بالفعلين المضارعين في قولها: "لم التمس، لم أورث" وذلك للإشعار باستمرار نفي هذين الفعلين عنها وعدم وقوعهما منها، فلم يقعا هذين الفعلين منها أبدًا في زمانٍ أو مكانٍ.

وأما عن إيثارها ﵂ للتعبير بالفعل المضارع في قولها: "أوطئكموها" فلاستحضار المشهد الهائل الذي يرون أنفسهم فيه أمامهم ، وهم يطؤون الفتنة بكل ما تشمله من مهالك، تلك الفتنة التي تُضعف قوتهم، وتفرق جمعهم وتضلهم عن الحق، وهي لا شك صورة مؤذية للرائي منفرة.

ويتضح التصوير في قولها ﵂: "فتنة أوطئكموها" حيث شبهت الفتنة بطريق يوطأ ، ثم حذفت الطريق ، وذكرت شيء من لوازمه وهو : الوطء على سبيل الاستعارة المكنية ، وهذا التصوير يشعر بدخولهم الفتنة وتورطهم فيها، ويصورهم وكأنهم قد أحاطتهم الفتنة بشكوكها وظلماتها من كل مكان، فلم يستطيعوا الفكاك منها ، وهم يسيرون في طريق شاق غير واضح المعالم ولا يعرف بدايته من نهايته، فيتخبطون فيه ويلتطمون بعوائقه .

وأما إيثار أم المؤمنين ﵂ للتعبير الاستعاري هنا بدلًا من التشبيه أو الكناية مثلًا وذلك لأن (الاستعارة تلائم ثورة العاطفة، ووحدة الوجدان، فتخرج الكلمات ملتهبة حادة بفضل ما في المجاز والاستعارة... من تركيز وإيجاز وتبلور يعطي التعبير قوة) [١]، وقد أرادت أم المؤمنين ﵂ أن يصلهم كلامها ملتهبًا حادًا ليكشف لهم عن غضبها الشديد منهم، وتصرفهم

---

[١] في النقد الأدبي، د. شوقي ضيف، ص ١٧١، الناشر: دار المعارف–القاهرة، الطبعة: التاسعة بدون تاريخ.

مع الخليفة المظلوم، واتهامهم لها، فناسب ذلك التعبير بالتصوير الاستعاري.

ويأتي الخبر الذي يوضح سبب مجيئها إلى البصرة وقولها الخطبة في قولها ﵂ "وإني أقبلت أطلب بدم الإمام"، والغرض من هذا الخبر هو بيان سبب مجيئها إلى البصرة وهو المطالبة بدم الخليفة عثمان ﵁ وقد أكدت أم المؤمنين ﵂ الخبر بإنَّ؛ وذلك لأن مخاطبيها يتشككون في هذا الأمر ويعتقدون أنها ما جاءت إلا لإثارة الفتنة بين المسلمين، فقد استخدمت التأكيد لتزيل هذا الشك وتمنع ذلك التوهم .

وقد عبرت أم المؤمنين ﵂ بالفعل المضارع في قولها: "أطلب"؛ وذلك للإشعار باستمرار هذا الفعل(مطالبتها بالثأر) ، فهي ظلت تطالب بدم عثمان ﵁ ولم تتوقف عن هذا الطلب حتى كانت موقعة الجمل التي قُتِل فيها من قُتِل، وجُرِح فيها من جُرِح من كبار الصحابة دون جدوى، حتى بعد انتهاء المعركة ظل هذا الأمر في ذهنها إلى أن توفاها الله ﷻ والإضافة في قولها: "بدم الإمام"، حققت الإيجاز؛ إذ لو لم تكن هذه الإضافة لكان الكلام هكذا: (وَإِنِّي أَقبلتُ أطلب بقتل من سفك دَم الإِمَام)، والإضافة توحي بضعف الخليفة في تلك اللحظة وقلة حيلته، وتساعد في تصوير قسوة قلوب القتلة وغلظتهم وتحجر عقولهم وهم يقتلونه، كما تثير هذه الإضافة في النفوس العطف والشفقة على هذا الإمام المظلوم، وتبعث على الاشمئزاز من تلك الفعلة الشنعاء.

وفصلت جملة: "أطلب بدم الإمام"، عما قبلها وذلك لأن الجملة التي سبقتها أثارت سؤالًا تقديره: (لماذا أقبلتي فقيل: "أطلب بدم الإمام"، فالفصل لشبه كمال اتصال.

وجاء قولها: " المركوبة منه الفقر الأربع "، على الإيجاز فقد حذف البدل وما عطف عليه، والتقدير: (المركوبةِ منه الفِقَرُ الأربع: حرمة الإسلام، وحرمة الخلافة، وحرمة الصُّحبة، وحرمة الشَّهر الحرام)، وقد أتاح الحذف للذهن فرصة ليتخيل ما يتخيل من الحرمات الأربع، حتى إذا ما وصل إلى هذه الحرمات بفكره، استقر وهدأت نفسه، وازدادت كراهيته وتقبيحه لهذه الفعلة البشعة.

واسم الموصول في قولها: "فمن ردنا عنه بحق" يُوجِز أسماء كثيرة تتخيل هي ﵂، أنهم سيؤيدونها في موقفها وفكرتها.

والتعبير عنهم باسم الموصول "من"، يوحي بتعظيمها لهؤلاء وتفخيمها لهم وتقديرها لموقفهم؛ إذ إنهم قد عرفوا الحق وقبلوا به ووقفوا بجانبه.

وأما عن التعبير باسم الموصول "من" في قولها ﵂: "ومن ردنا عنه بباطل"، فيخفي تحته أسماء كثيرة لأشخاص سيخالفونها في رأيها، ولم يقدروا موقفها، ويقللوا من هدفها، (الأخذ بثأر الخليفة عثمان بن عفان ﵁، وقد ساعد هذا التعبير على الشعور بحقارة هؤلاء وهوان شأنهم.

وفصلت ﵂ الجملتين: "قبلناه ، قاتلناه" لأن الجملتين السابقتين عليهما أثارتا سؤالًا تقديره في الجملة الأولى: (ماذا ستفعلين بمن ردك بحق؟ فقيل: "قابلناه"، وفي الثانية ماذا ستفعلين بمن ردك بباطل؟ فقيل: "قاتلناه"، فالفصل لشبه كمال الاتصال.

وتضعيف الدال وتشديدها في قولها ﵂: "ردنا" يوحي بالمجهود الذي كانت تبذله أم المؤمنين ﵂، في إقناع الآخرين بوجهة نظرها، فكم يبذل صاحب الحق من وقت وجهد حتى يستطيع الإقناع به.

وأما المد في قولها ﵂: " قاتلناه "، فيوحي بأن القتال سيطول حتى يقتنعوا ويسلموا بالأمر، كما يشعر بشدة القتال وضراوته لعنادهم وعدم اقتناعهم برأي أم المؤمنين ﵂.

وقد طابقت أم المؤمنين ﵂ بين الحق والباطل لتبرز الفرق الشديد بين الحالين والهوة البعيدة بينهما، فالحق يجعل صاحبه يسير على الصراط المستقيم ويجعله مرتاح الضمير ويمنعه من إيذاء أحد، أما الباطل فيجهد صاحبه ويجعله يؤذي حتى نفسه وأقرب الناس إليه.

وقد آثرت أم المؤمنين ﵂ التعبير بالفعلين الماضيين في قولها: " قبلناه، قاتلناه" مع أن هذا الكلام سابق للحدث ولم يحصل بعد، وذلك للإشعار بأن هذا الأمر محقق حتمًا لا محالة، وفي هذا من التهديد ما لا يخفى.

وقولها ﵂: "فربما ظهر الظالم على المظلوم"، كناية عن غلبة الظالم في بعض الأحيان، وهذه الكناية توحي بجبروت الظالم وتجبره، وتؤكد تراجع قوته وجبروته في وقت من الأوقات، كما تشعر بأنه مهما كثر أو طال ظلمه لابد من يوم معلوم ترد فيه المظالم.

وتستخدم أم المؤمنين ﵂ الطباق مرة أخرى في هذا المقام لتوقفنا على الفرق بين حالي الظالم والمظلوم، فالظالم صاحب قلب مَيّت وعقل متحجر، تملأ نفسه الصراعات التي تجعله في حالة من الضغط النفسي لغيره، متكبر يشعر دائمًا بالزهو وينسى أن الله من فوقه وسيحاسبه في يوم من الأيام، أما المظلوم فصاحب قلب موجع ونفس حزينة لكن يحيط به الطمأنينة من كل مكان والثقة بأن الله من فوقه سيؤازره ويساعده.

وتعبيرها باسم الفاعل في قولها: "الظالم" يوحي بأن هذا الظالم قد اشتهر بظلمه وجبروته وعرف بهما بين الناس، وأن هذه الصفة أصبحت

صفة ثابتة له، وفي هذا التعبير تعريض بمخاطبيها وظلمهم والمتهمين في نظرها بقتل عثمان رضي الله عنه .

ويأتي الخبر الذي تبشر به المتقين الذين ينصرون المظلوم ويساعدون في الأخذ بحقه في قولها رضي الله عنها: "والعاقبة للمتقين"، وكما عبرت أم المؤمنين عن مَن اتصف بصفة الظلم باسم الفاعل عبرت كذلك عن الذين يتصفون بصفة التقوى باسم الفاعل: "المتقين"، للإشعار بأن هذه الصفة لم تأتهم من فراغ بل إنهم اجتهدوا وتعبوا حتى اتصفوا بتلك الصفة، ولم يقف الأمر عند اتصافهم بهذه الصفة فحسب بل إنهم قد اشتهروا بها وأصبحت لهم صفة ثابتة وعرفوا بها بين الناس، وكأنها رضي الله عنها تقابل بين الفريقين: فريق يعلم الحق ويتبعه، وفريق يعلم الباطل جيدًا ويتبعه ولا يجد غضاضة في هذا الأمر.

وأما تعبيرها بالفعل المضارع في قولها: "أقول" فللإشعار باستمرار الحكم الذي تثبته لقولها وهو الصدق والعدل، وهي تقصد بتعبيرها هذا أن تؤكد لمخاطبيها ثبوت ودوام صفة الصدق لها وأنها صفة لا تفارقها أبدًا، فعليهم إذًا تصديقها وعدم الشك في نواياها، فقد اتخذت رضي الله عنها من التعبير بالفعل المضارع مطيةً لإيصال فكرتها هذه وترسيخها في النفوس.

والإضافة في قولها رضي الله عنها: "قولي" تشعر بالاختصاص، فالقول قولها هي لا قول غيرها وهي التي تعلم ما تقصده جيدًا ومسؤولة عنه مسؤوليةً كاملةً.

واسم الإشارة "هذا" يشير إلى عظمة قولها وشرف مقصدها، وأنها لا تبغي من وراء ذلك إلا الانتصار للحق، وأخذ حق المظلوم.

وتنكير " صدقًا، عدلًا " يوحي بالكثرة والعظمة، فقولها رضي الله عنها: بلغ من الصدق والعدل مبلغًا كبيرًا بحيث يجعل صدقها دائمًا وتصرفها عادلًا، ولما لا وهي ابنة الصديق وزوجة الصادق الأمين.

ويلاحظ التناسب الذي يجمع بين " صدقًا، عدلًا "فكل منهما لا يكون إلا في شخص خلوقٍ تقيٍ

وتنكير "إعذارًا" يوحي بإحساسها بضعفها وهوانها الشديد أمام ربها لما تشعر به من تقصير تجاهه بسبب تقصيرها في الأخذ بدم عثمان رضي الله عنه.

وأما تنكير "إنذارًا" فيوحي بشدة هذا الإنذار وتأكيده، ويساعد في تصوير لهجتها الشديدة التي كانت تخاطبهم بها بسبب غضبها الشديد منهم لما فعلوه مع الخليفة عثمان رضي الله عنه.

وبين قولها رضي الله عنها: " إعذارًا وإنذارًا" جناس لاحق ، والجناس قد أضفى على الكلام موسيقى عذبة رقيقة تتناسب والجو العام للخطبة .

وفي إيثارها رضي الله عنها للتعبير بالفعلين المضارعين في قولها: "أسأل ، يصلي"؛ ما يشعر باستمرار هذين الفعلين منها، (فسؤالها والصلاة على النبي)، فدعاؤها للنبي مستمر ما دامت حية ترزق، وصلاة الله على النبي مستمرة مادامت السماوات والأرض إلى قيام الساعة.

ولفظ الجلالة "الله" يُضفي على المكان مهابةً وروعةً وجلالًا، ويدخل الأنس والطمأنينة والسكينة في القلوب المؤمنة المتوكلة على ربها خالق الأكوان.

والتعريف بالعلمية في قولها رضي الله عنها:"محمد" ؛ لإحضار معناه صلى الله عليه وسلم، باسم يختص به ويتعين حتى لا يبعد الذهن عنه، ويُشَك أن غيره هو المقصود.

ووصلت أم المؤمنين قولها ﵂:"وأن يخلفه" بقولها: "أن يصلي"، لما بينهما من التوسط بين الكمالين لاتفاقهما في الخبرية لفظًا والإنشائية معنًى، فلفظ الجملتين خبر ومعناهما إنشاء (دعاء)، والفاعل فيهما واحد وهو الضمير العائد إلى الله ﷻ، فكلا الجملتين دعاء من عائشة أم المؤمنين ﵂ لأشرف الخلق أجمعين ﷺ

وقد حققت الإضافة في قولها ﵂: "خلافة المرسلين"، الإيجاز والاختصار؛ إذ لو لم تكن هذه الإضافة لقيل: (خلافة إبراهيم ويعقوب وإسحاق وموسى وعيسى إلخ، لكن لما جاءت بالإضافة كان المعنى أوجز، وأغنت كذلك الإضافة عن التفصيل المتعذر وأسرعت إلى المطلوب.

المبحث الخامس

السمات الأسلوبية والخصائص التعبيرية لأم المؤمنين ﵂ في الخطبة

أولاً ألفاظ الخطبة:

من خلال ما سبق يلاحظ أن السيدة عائشة ﵂ قد تخيَّرت ألفاظها فكانت مبتكرة، حيث بُنيت الكلمة من حركات خفيفة[1]، وكانت معبرة عن المعنى المراد، وفي الوقت ذاته ذات صفات جمالية تحقق الإمتاع للمتلقي، فقد احتوت على مزية الحسن والجودة، فلم نلاحظ في الخطبة كلمة وحشية ولا متوعرة، أو مبتذلة، ولم تعبر بكلمة فيها عن معنى يُكره ذكره، فكانت ألفاظها جارية على العرف العربي الصحيح، غير شاذة.

وعلى الرغم من جزالة ألفاظها وقوة بنيتها إلا أنها كانت تمتاز بالحسن والقبول، فتوافر صفات الفصاحة لألفاظ الخطبة استدعى بالضرورة استحسان السمع لوَقْعها، مما يعني أن العلاقة بين صفات الفصاحة للألفاظ ومقياس السمع هي علاقة المقدمة بالنتيجة، مما يمكن معه رصد أهم صفات فصاحة الألفاظ عن السيدة عائشة ﵂ كما سبق.

ثانياً: البناء التركيبي للخطبة:

كما اعتنت السيدة عائشة ﵂ باللفظ المفرد في الخطبة اعتنت كذلك بالبناء التركيبي، فاللفظ المفرد تبقى قيمه الجمالية عديمة التأثير إذا لم توضع في تركيب يفجر هذه الطاقات الجمالية، فقد اتسمت الخطبة بحسن التأليف، وجودة السبك، وحسن الصياغة، وقدرتها التأثيرية، وقد ظهر ذلك

---

[1] الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور، د. مصطفى جواد، ص ٣٤، الناشر: المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٦م.

من خلال تحليل الخطبة، فقد راعت السيدة عائشة رضي الله عنها معاني النحو باعتبار تناسق دلالاته وتلاقي معانيه، وتعلق الكلام بعضه ببعض وفقًا لأحكام النحو ومعانيه، مما جعل النفوس تميل إلى استماعها والإصغاء إليها.

وقد وظّفت أم المؤمنين رضي الله عنها كمًا هائلًا من المفردات والعبارات في الدفاع عن فكرتها وتوضيح غرضها توظيفًا يجذب فكر السامع والقارئ، وهو توظيف مبدعة جاء مناسبًا لغرضها ومطابقًا للحال التي هي فيه، فقد عبرت عما أرادت بأحسن الألفاظ وأصح العبارات، لتبلغ مرادها وتوصل ما تريد إيصاله إلى مخاطبيها...

وقد جاءت الأبنية والتراكيب في الخطبة معبّرة أقوى ما يكون التعبير، ومطابقة لمقتضى حال ما تريد الإفصاح عنه.

وعلى كل حال فإن السيدة عائشة رضي الله عنها كانت تختار في كلامها الجمل القصيرة، وتكثر من الترادف والتوازن وترفد بيانها بالصور الحسية، وقد كانت تختار عبارتها اختيارًا ينم عن قريحة متدفقة، وعقل راجح، وعاطفة رقيقة، وهي في ارتجالها الأقوال القصيرة البليغة تصدر عن ذكاء وروعة بيان.

وإبداعية البيان في النص لا تنحصر فقط في مستوى التآلف الحاصل بين مفرداته، بل تكمن إبداعيته أيضًا في اختيار الكلمات وطريقة تركيبها.

ثالثا: الفنون البلاغية:

قد كان للفنون البلاغية التي استعملتها أم المؤمنين رضي الله عنها وقعها على الأذن والنفس وما أثرته من جمال في الخطبة مع عدم التكلف والتصنع، فأم المؤمنين رضي الله عنها قد استخدمت في خطبتها فنون البلاغة جميعها تقريبًا لإبراز فكرتها والإقناع بها، وإيصال معانيها إلى الأذهان.

فلا يمكننا القول بأي حال من الأحوال : بأنها قد أهملت علم من علوم البلاغة الثلاثة ولم تأت به وتوظفه لإبراز ما أرادت من معاني وأفكار

ومن فنون علم المعاني التي وردت في خطبة أم المؤمنين: الحذف، وأكثر ما حذفته: المسند إليه، وقد كان لحذف المسند نصيب كذلك في الخطبة إلا أنه كان قليلًا بالنسبة لحذف المسند إليه ، وقد حذفت كذلك المفعول به، وقد كان للحذف في خطبتها الأثر الواضح في إبراز معانيها وإيضاح أفكارها.

وكان للتعريف بالإضافة النصيب الأكبر في التعبير في الخطبة، وكذا أسلوب التنكير الذي جاء في النص لأكثر من غرض.

وقد كان لفن التقديم والتأخير، الدور البارز في تشويق السامعين أو بيان أهمية للمقدم وغير ذلك من الأهداف والمقاصد.

ومن الأساليب الإنشائية التي استعملتها أم المؤمنين رضي الله عنها في الخطبة: أسلوب النداء الذي قصدت به لفت انتباه السامعين وجذب أذهانهم.

كما كان لأسلوب القصر الدور الأكبر في تأكيد المعاني التي قدمتها في الخطبة والتي كانت تريد إثباتها والإشعار بقطعيتها.

وكذلك الوصل والفصل كان من الوسائل المهمة التي اتضح أثرها في تلك الخطبة؛ وذلك لأنه من أفضل الوسائل التي تلقي الضوء على التناسب الذي يكون بين المعاني أو عدمه، فإن كان هناك تناسبًا كان الوصل، وإن لم يكن هناك تناسبًا كان الفصل هو سيد الموقف.

ومن أبرز مواضع الوصل التي جاءت في الخطبة: التوسط بين الكمالين لما فيه من إيضاح التناسب بين الجمل ، وأكثر صور الفصل التي وردت كذلك: شبه كمال الاتصال؛ لما كان يحققه من الإيجاز والاختصار.

وقد استخدمت السيدة عائشة رضي الله عنها معظم حروف العطف في الخطبة، فقد كانت تضع كل حرف في مكانه المناسب بحيث لا يمكن وضع غيره في ذلك المكان؛ مما جعل جملها تتسلسل في سلك منتظم.

وكذلك كان للإيجاز أثره الواضح في الخطبة؛ إذ كان من العوامل المهمة التي أسعفت أم المؤمنين رضي الله عنها في تحقيق هدفها من إيصال الفكرة وتحقيق الغرض بأقصى سرعة.

وقد كان للإطناب دوره الذي لا يمكن إغفاله، لكنها لم تستعمله إلا مرتين تقريبًا في الخطبة؛ إذ إنه كان لا يناسب حالها ولا الموقف الذي كانت بصدده فقد كانت تحرص دائمًا على إيصال ما تريد بسرعة.

وأما عن السورة البيانية في الخطبة فنلاحظ أن أم المؤمنين رضي الله عنها قد أكثرت من الاستعارة والتشبيه؛ لما لهما من تأثير السحر في النفوس ومن تحقيق الإيجاز ، وما للاستعارة خصوصًا من قدرةٍ فائقة على إخراج الجماد الجاف في صورة حسية حية نابضة، وتحقيق التجسيد ، فقد كانت السيدة عائشة رضي الله عنها صاحبة خيال خصب وقريحة متقدة.

وقد لاحظت أن المجاز المرسل لم يشكّل ظاهرة في النص كغيره من الأساليب البيانية، فلم يرد في النص إلا مرة واحدة، ربما يرجع ذلك إلى انفتاحه بلا حدود واتساعه بعلاقات جعلته مرسلًا، بالإضافة إلى أن العربي بفطرته يتفق مع التشبيه والاستعارة والكناية وغيرها من الأساليب بخلاف المجاز المرسل.

وكانت أم المؤمنين رضي الله عنها تستخدم الكناية حينما كانت تريد إخراج المعنى في صورة متوسطة بين الحقيقة والخيال، والكناية هي التي تستطيع تحقيق ذلك.

وعلى كل حال فقد جاء تصويرها مبيّنًا أيّما إبانة عمّا يجيش في صدرها، وما يدور في خيالها.

وبالنسبة للمحسنات البديعية فقد كانت تستعمل منها ما يؤازرها في إثبات فكرتها وإبراز معانيها، فقد وشت كلامها بالفنون البديعية التي تلفت الانتباه وتمتلك الأسماع، ومن المحسنات التي وردت في الخطبة الطباق والجناس، فالطباق كان يمثل لديها وسيلة تبرز المعنى وتوضحه، والجناس كان وسيلتها لاستراع الانتباه وإثارة الأذهان وإيقاظ السامعين وجذب انتباههم حتى تقول لهم ما تريد، وقد جاء الجناس في الخطبة في أكثر من صورة فقد جاء الجناس اللاحق والمضارع وجناس الاشتقاق.

ومن هذا المنطلق جاء كلام أمنّا ليصنع نسيجًا حياتيًا ألقت خيوطه بظلالها على الحاضرين ففاح بعبير الكلمات صياغةً ولحنًا متميزًا تهادى إلى الأسماع فشنّف الآذان وأيقظ الأفئدة وفتح العيون.

الخاتمة

الحمد لله في الأولى والآخرة حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وموفور نعمه، وكمال عزته وشانه، وصلاةً وسلامًا على نبيه وحبيبه، وصفيه وخليله "محمد" ﷺ خاتم رسله وأنبيائه خير خلقه وصفوة أنامه.

وبعد

فإن لكل عمل ثمرة، ولكل بحث نتيجة وهدفًا، وقد حان قطاف الثمار وتجلية النتائج.

فبعد معايشتي لموضوع بحثي فترة ليست بالقصيرة، وبذلي فيه جهداً ليس بالقليل، يمكنني أن ألخص ما حوته مباحثه من أفكار ونتائج، وأجملها فيما يلي:

١) جاءت خطبة السيدة عائشة رضي الله عنها استجابة للموقف الذي كانت بصدده؛ حيث أرادت الدفاع عن موقفها والإقناع بفكرتها، وهي: أنها لم تبتغ فتنة ولم ترد إلا المطالبة بدم عثمان رضي الله عنه، كما جاءت الخطبة استجابة لفطرتها وسليقتها المحكمة.

٢) جاء أسلوب الخطبة سلِسًا شيّقًا بعيدًا عن الغموض، بعيدًا عن الاستغلاق والإبهام،فتحليل سمات الخطبة البلاغية أكد أن السيدة عائشة رضي الله عنها كانت متمكنةً من الأدوات اللفظية والمعنوية، التي لا يتسنى الحصول عليها لغيرها، وهذا الحضور لم تتعمده أم المؤمنين رضي الله عنها، فالبلاغة لديها لم تكن مجرد زخرفة وزينة.

٣) الخطبة جمعت بين حسن الصياغة وأهمية المضمون من ناحية، وفضل صاحبتها رضي الله عنها وما كانت تدعو إليه من ناحية أخرى.

٤) كانت ألفاظ الخطبة وتراكيبها دليلًا واضحًا على عصر صدر الإسلام، والذي كان زاخرًا بفن القول، وكأن تلك الخطبة ترجمة لغوية لعصر صدر الإسلام.

٥) كان للبناء العاطفي للخطبة دور كبير في التواصل معها أولًا، ثم في الاستجابة لأطروحتها ثانيًا.

٦) تنوع طرق الإقناع في الخطبة بين ذكر الميزات والاستعطاف والتذكير بالماضي واستثارة الناحية الدينية، فالحوار في الخطبة كان يعتمد على قدرة السيدة عائشة ﵂ على التأثير على الحالة النفسية للمخاطب بصورة كبيرة.

٧) تنوع التصوير في الخطبة بين التشبيه والمجاز المرسل والاستعارة والكناية، فلا يوجد نوع من التصوير لم تأت به أم المؤمنين ﵂، وإن كان بعضه أكثر وبعضه أقل.

٨) كان التصوير في الخطبة تصويرًا إقناعيًا يفي بفكرة المزج بين الجمال والإقناع.

٩) جاء التشبيه في الخطبة تلقائيًا من واقع البيئة المحيطة ليكون أسرع في تحقيق ما تهدف إليه، ولذلك غُلف بالأناقة والرفعة والإيقاع الجميل.

١٠) جاءت الكنايات في الخطبة إبداعية بكل ما تحمله الكلمة من معان، إذ ربطت القارئ بنصها رباطًا وثيقًا شيّقًا فتوقّد ذهنه في محاولة الوصول إلى مرادها على وجه التحقيق، وبقى الأمر بين السيدة عائشة ﵂ والقارئ كرًا وفرًّا حتى قضت ﵂ وطرها بالفراغ من نصها قبل أن يتركها القارئ.

وبعد:

فلا أستطيع أن أدَّع أن هذهِ الدراسةَ كفيلةٌ بمَا يليقُ بهذه الخطبة العظيمة منْ دراسةٍ فنيةٍ مستوعبةٍ، فكمْ أتمنَى أنْ أغوصَ فِي خضمِّ هذَا البحرِ العظيمِ، و أخرجَ بلآلئهِ الغاليةِ الثمينةِ، ودررهِ الكامنةِ،

فهذا جهد المقل، وقد بذلتُ فيه ما أمرني الله به من طاقة ورزقني من فهم، فإن كنتُ قد وفقتُ فبفضل من الله ﷻ، وإن كانت الأخرى فحسبي جزاء المجتهد، فأنا فعلت ما في وسعي، والله أسأل أن يجيز ما فيه من تقصير ونقص، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينتفع به طلاب العلم والدارسين.

وصلى اللهم وبارك على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم.

وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

١) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٩٥م.

٢) أسرار البلاغة، الإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق د محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر مكتبة القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٦ م.

٣) أصول الخطابة العربية،للدكتور عبد الغفار عزيز،بدون.

٤) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني،ج ١،ص٣٩٢، الناشر: دار إحياء العلوم– بيروت، ط: ٤، ١٩٩٨م ـــ.

٥) البداية والنهاية، لابن كثير، الناشر: دار الفكر، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م.

٦) البديع – رؤية جديدة، د، عبد الله دراز،بدون.

٧) بلاغات النساء، لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر، تحقيق أحمد الألفي، ط مدرسة والدة عباس الأول– القاهرة، ١٣٢٦ هـ.

٨) البيان في ضوء أساليب القرآن الكريم، أ.د عبد الفتاح لاشين، الناشر: دار الفكر العربي– القاهرة، ٢٠٠٤م.

٩) البيان والتبيين، أبو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي– القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٨٥م.

١٠)التصوير البياني– دراسة تحليلية لمسائل البيان، أ. د.محمد محمد أبو موسى، الناشر: مكتبة وهبة،١٩٨٠م.

١١)التصوير البياني للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف، أ.د علي علي صبح،الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث،.بدون تاريخ.

١٢)تطور الشعر العربي الحديث في العراق اتجاهات الرؤيا وجمالات النص، د. علي عباس علوان، الناشر: دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام ببغداد، بدون تاريخ.

١٣)التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر- دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ.
١٤)الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور، د. مصطفى جواد، الناشر: المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٦م.
١٥)الجانب الأدبي من حياة السيدة عائشة- دراسة أدبية، لمصطفى صلاح محمد، ص ١ بدون
١٦)جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي،ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، ج١، الناشر: المكتبة العصرية- بيروت، بدون تاريخ.
١٧)دراسات في الخطابة، للدكتور،عبد الغفار عزيز وآخرين، بدون.
١٨)دلالات التراكيب دراسة بلاغية، أ.د محمد محمد أبو موسى،الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة:الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م.
١٩)الخطابة وإعداد الخطيب، الدكتور: عبد الجليل شلبي، الناشر: دار الشروق،الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
٢٠)سنن ابن ماجة، الناشر: دار الفكر، بدون تاريخ.
٢١)سنن أبي داود، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر: دار الفكر- بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩.
٢٢)سنن الترمذى، تحقيق د كمال الحوت، الناشر: دار الفكر، ١٩٨٠م ـ.
٢٣)سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ٢٠٠٩مـ.
٢٤)شرح أحاديث من صحيح البخاري، للدكتور محمد محمد أبي موسى، الناشر مكتبة وهبة، ١٤٢١ه ـ - ٢٠٠١مـ.
٢٥)الصبغ البديعي، د. أحمد إبراهيم موسى، الناشر: دار الكاتب العربي- القاهرة، ١٣٨٨ه -ـ١٩٦٩م.

٢٦)صحيح البخاري، للإمام البخاري، ط دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.
٢٧)صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: إحياء الكتب العربية ط١، بدون.
٢٨)الصدّيقة بنت الصدّيق، عباس العقاد، الناشر: دار المعارف، الطبعة الثانية عشر، بدون.
٢٩)الصورة الفنية في الشعر العربي، إبراهيم بن عبد الرحمن الغنيم، الناشر: الشركة العربية، ط: الأولى، ١٩٩٦ م.
٣٠)الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، د. جابر عصفور، الناشر: المركز الثقافي العربي- بيروت،١٩٩٢م.
٣١)الطرازُ، يحيى بنُ حمزةِ العلويِّ، الناشر: المعارفُ الرياض، ١٩٨٠مـــ.
٣٢)العقد الفريد، لابن عبد ربه، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٠٤ هـــ.
٣٣)العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق، تحقيق محي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الجيل- بيروت، ١٩٨١ مـــ.
٣٤)الفائق في غريب الحديث والأثر، الزمخشري، تحقيق علي محمد البجاوي-محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعرفة- لبنان، ط ٢، بدون تاريخ.
٣٥)الفصل في الملل والأهواء والنحل، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، الناشر: مكتبة الخانجي- القاهرة، بدون تاريخ.
٣٦)الفعل المبني للمجهول، عبد الفتّاح محمد، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٢، العدد١ + ٢، 2006 م.

٣٧)فن الخطابة،الدكتور، أحمد الحوفي، الناشر: الهيئة المصرية للتأليف والنشر، بدون تاريخ
٣٨)فن الخطابة، الشيخ محمد أبو زهرة، الناشر: دار الفكر العربي، بدون تاريخ. طبعة.
٣٩)في النقد الأدبي، د. شوقي ضيف، ص ١٧١، الناشر: دار المعارف– القاهرة، الطبعة: التاسعة بدون تاريخ.
٤٠)القرآن والصورة البيانية، د. عبد القادر حسين، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥ – ١٩٨٥م.
٤١)قواعد الخطابة وفقه الجمعة والعيدين، الدكتور أحمد غلوش، بدون.
٤٢)لسان العرب، لابن منظور، الناشر: دار صادر– بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.
٤٣)لغة المنافقين في القرآن، أ. عبد الفتاح لاشين، الناشر: دار الرائد العربي– بيروت لبنان، بدون تاريخ.
٤٤)المتقي في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين، بدون.
٤٥)المثل السائر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق د. أحمد الحوفى، وبدوي طبانة، الناشر: مكتبة نهضة مصر– الفجالة، بدون تاريخ.
٤٦)مختار الصحاح، تأليف: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: بولاق المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٥٧م.
٤٧)المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، ٦٠٠٠، تحقيق مصطفى عطا، ط ٤ العلمية بيروت
٤٨)مسند الإمام أحمد، الناشر: دار الفكر العربي بدون
٤٩)المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تأليف أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، الناشر:المكتبة العلمية – بيروت، بدون.

٥٠)المفردات في غريب القرآن، تأليف: الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، الناشر: دار المعرفة- بيروت- لبنان- بدون تاريخ.

٥١)من أسرار التعبير في القرآن حروف القرآن، أ.د عبد الفتاح لاشين، الناشر: دار عكاظ للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠٣

٥٢)هـ - ١٩٨٣.

٥٣)من الأسرار البيانية في الكناية القرآنية، الدكتور حمزة الدمرداش زغلول، ص ٦، الناشر: المطبعة الإسلامية الحديثة، ط: الأولى، ١٩٨٨ م.[١]

٥٤)منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب خوجة، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦ م.

٥٥)الوشاح على الشرح المختصر لتلخيص المفتاح، محمد الكرمي الحويزي، بدون طبعة وتاريخ.

٥٦) See: Halliday & Hasan: Cohesion in English, P.250 & Crombie, Winifred: process and Relation, P18

محتويات البحث

م	الموضوع
١	المقدمة
٢	التمهيد
٣	الخطابة في عصر صدر الإسلام.
٤	بين يدي السيدة عائشة رضي الله عنها
٥	نص الخطبة وسبب إلقائها:
٦	المبحث الأول: من دقائق تعبير أم المؤمنين رضي الله عنها في حديثها عن علاقتها برسول الله صلى الله عليه وسلم وميزاتها في الخطبة.
٧	المبحث الثاني: من دقائق تعبير أم المؤمنين رضي الله عنها في حديثها عن أبيها ومناقبه الجليلة في الخطبة.
٨	المبحث الثالث: من دقائق تعبير أم المؤمنين رضي الله عنها في حديثها عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصفاته العظيمة في الخطبة.
٩	المبحث الرابع: من دقائق تعبير أم المؤمنين رضي الله عنها في ختام الخطبة ومطالبتها بدم عثمان رضي الله عنه.
١٠	المبحث الخامس: السمات الأسلوبية والخصائص التعبيرية لأم المؤمنين رضي الله عنها في الخطبة:
١١	الخاتمة.
١٢	فهرس المصادر والمراجع
١٣	محتويات البحث